❁ الإيمان باليوم الآخر ❁

(١٧٩) يقول السائل: ما هو أثر الإيمان باليوم الآخر على عقيدة المسلم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة التي أجاب بها النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جبريل حين سأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر**»[(١)]، وأثر الإيمان على قلب المؤمن وعمله كبير، فإن الإنسان إذا آمن باليوم الآخر عمل له، والعمل لليوم الآخر هو فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله، وإذا فُقِدَ الإيمان باليوم الآخر فلا إيمان، لأنه أحد أركان الإيمان، ففي فقده فقد ركن من أركان الإيمان، والإيمان لا يتبعض في أركانه، لا بد أن يؤمن الإنسان بجميع أركان الإيمان، وإلا فلا إيمان له.

إن أثر الإيمان باليوم الآخر عظيمٌ جدًّا، ولهذا يقرنه الله -تبارك وتعالى- بالإيمان به في مواضع كثيرة من القرآن، لأن الإيمان به هو الذي يحمل الإنسان على العمل، وقد قال الله تعالى مبينًا أن جَحْدَهُ كفر: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴾ [التغابن: ٧] فأمر الله نبيه أن يقسم على البعث، وبيَّنَ -تبارك وتعالى- أن ذلك يسيرٌ عليه فقال: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧] وقال -عز وجل-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

***

(١٨٠) يقول السائل س. ع. من مصر: ما هي العلامات الصغرى المتبقية فضيلة الشيخ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الظاهر أنه يريد علامات الساعة، وفيها ما وقع وفيها ما هو مستقبل، ومن علامات الساعة التي وقعت بعثة النبي ﷺ، وكونه خاتم النبيين، لأن كونه خاتم النبيين يؤذن بقرب انتهاء الدنيا، والأمر

---

(١) تقدم تخريجه.

كذلك، فإن الرسول ﷺ خطب الناس ذات يوم في آخر النهار وقال: «**إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومكم هذا**»[١] وكانت الشمس على رؤوس النخل، أي: قريبة من الغروب.

ومنها: ما أشار إليه النبي -عليه الصلاة السلام- حين سأله جبريل قال له: متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال له جبريل: أخبرني عن أماراتها؟ قال النبي ﷺ: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»[٢].

ومنها: انتشار الربا، وقد وقع وانتشر الربا كثيرًا بين الأمة الإسلامية.

ومنها: فساد أحوال الناس، فإن كثيرًا من بلاد المسلمين فيها شر كثير ومعاص معلنة، نسأل الله العافية والسلامة.

وقد صنف العلماء -رحمهم الله- في ذلك كتبًا مستقلة أحيانًا، وفي ضمن كتاب يشتمل عليها وعلى غيرها أحيانًا أخرى، فنرشد السائل إلى مراجعتها.

***

(١٨١) تقول السائلة: ما صحة قول القائل: إن أول علامات الساعة الكبرى هي طلوع الشمس من مغربها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا ليس بصحيح، طلوع الشمس من مغربها متأخر، لأن الدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام كلها قبل طلوع الشمس من مغربها.

***

(١٨٢) يقول السائل: أقرأ هذا الدعاء في كل صلاةٍ قبل السلام، وهو: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال. أريد أن أعرف: من هو المسيح الدجال؟ وما هي فتنته؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩)، الترمذي: كتاب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، رقم (٢١٩١).

(٢) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الدعاء الذي أنت تدعو به في صلاتك بقي عليك شيء، وهو أنك تستعيذ من أربع، كما أمر بذلك النبي ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[(١)]، هذه الأربع أمر النبي ﷺ بالاستعاذة منها بعد التشهد وقبل السلام.

أما المسيح الدجال: فإنه رجل يخرج في آخر الزمان يَدَّعي الربوبية، ويعطيه الله -تبارك وتعالى- من الآيات ما يكون سببًا للفتنة، امتحانًا من الله تعالى واختبارًا، هذا الرجل رجلٌ أعور، ولهذا سُمي المسيح لمسح إحدى عينيه، وهو معه جنةٌ ونار، فمن أطاعه أدخله الجنة، ولكنه لا يجد جنةً وإنما يجد نارًا، ومن عصاه أدخله النار التي معه، ولكنه لا يجدها نارًا وإنما يجدها ماءً عذبًا طيبًا، أو جنة كما ورد في بعض ألفاظ الحديث، ويمكث في الأرض أربعين يومًا، اليوم الأول بمقدار سنة، والثاني بمقدار شهر، والثالث بمقدار أسبوع، وبقية الأيام كأيامنا، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ عن هذا اليوم الذي كسنة، هل تكفي فيه صلاة يوم واحد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا، اقدروا له قدره**»[(٢)] أي: إن هذا اليوم الأول من أيام الدجال يُصلى فيه صلاة سنةٍ كاملة، لأنه عن سنةٍ كاملة، واليوم الثاني يصلى فيه صلاة شهر، واليوم الثالث يُصلى فيه صلاة أسبوع، وبقية الأيام تصلى في كل يوم خمس صلوات. ثم إن هذا الدجال مع ما يحصل من فتنته العظيمة يوفق الله -سبحانه وتعالى- المؤمنين فيعرفونه بعلامته، فإنه مكتوبٌ بين عينيه: كافر، كاف وفاء وراء يقرؤها كل مؤمن الكاتب وغير الكاتب[(٣)]، ويعمى عنها من ليس بمؤمن ولو كان قارئًا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، مسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨)، واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب التلبية إذا انحدر في الوادي، رقم (١٥٥٥)، مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم (١٦٦).

ثم إنه يُؤتَى إليه برجل ليفتتن به، فيقول هذا الرجل: أشهد أنك الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ، فيقطعه الدجال قطعتين ثم يمشي بينهما، ثم يقف فيدعوه، يدعو هذا الرجل المقتول المفرق قطعتين، فيقوم هذا الرجل حيًّا والناس ينظرون إليه، فيقول له: أتشهد أني الله؟ فيقول: أشهد أنك الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ، فيقطعه مرةً أخرى ثم يعود فيدعوه، فيقوم ويقول: أشهد أنك أنت الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ، فيريد أن يقتله كما قتله المرتين الأوليين، ولكنه يعجز عنه، فيأخذ به ويلقيه في النار.[1] ولكنه كما أسلفنا النار التي معه جنةٌ وماءٌ عذب، كما جاء به الحديث عن رسول الله ﷺ.

ونهاية الدجال أن عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- ينزل من السماء، لأن عيسى بن مريم قد رفعه الله تعالى إلى السماء حيًّا لم يمت، ثم ينزل في آخر الزمان فيقتل هذا المسيح الدجال وتنتهي فتنته.

***

(١٨٣) يقول السائل: قرأت في بعض الكتب عن الدجال، هل هو ابن صياد أم لا؟ فما هو الحق في ذلك؟ وكذلك في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ رأى رجلًا يطوف بالبيت وفيه صفات الدجال، فلما سأل عنه قيل: هذا هو الدجال.[2] مع أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة. نرجو الإفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصحيح أن ابن صياد ليس هو الدجال الذي يبعث في آخر الزمان، وإنما هو دجال من الدجاجلة، يشبه الكُهَّان في تخرصه وتخمينه، ولكنه ليس هو الدجال الذي يبعث يوم تقوم الساعة، فيقتله عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام-.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم (١٨٨٢)، مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال، رقم (٢٩٣٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال، رقم (١٦٩).

وأما رؤية النبي ﷺ من قيل له: إنه هو الدجال يطوف بالبيت، فإن الممتنع إنما هو دخوله في اليقظة، فإنه لا يدخل مكة ولا المدينة وهذا في اليقظة، والأحكام الشرعية تختلف في اليقظة وفي المنام.

***

(١٨٤) يقول السائل: من هم يأجوج ومأجوج الذين ذكروا في القرآن؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يأجوج ومأجوج قبيلتان عظيمتان كبيرتان من بني آدم، لقول رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في الحديث الصحيح: «**إنه إذا كان يوم القيامة ينادي الله -سبحانه وتعالى-: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك! فيقول الله تعالى: أخرج من ذريتك بعثًا إلى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعةٌ وتسعون. -يعني: هؤلاء كلهم في النار من بني آدم-، وواحد في الجنة. فعظم ذلك على الصحابة فقالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الواحد؟ فقال ﷺ: «أبشروا! فإنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، منكم واحد ومنهم تسعمائة وتسعةٌ وتسعون**»[(١)].

فهما قبيلتان عظيمتان، لكنهما من أهل الشر والفساد، والدليل على ذلك أمران: أمرٌ سابق، وأمرٌ منتظر.

فأما الأمر السابق: فما حكاه الله -سبحانه وتعالى- عن ذي القرنين أنه لما بلغ السدين ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٣-٩٤] إلى آخر ما ذكر الله -عز وجل-، والشاهد من هذا قولهم: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، وطلبوا من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبينهم سدًّا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢).

وأما الشر والفساد المنتظر: فهو ما جاء في حديث النَّوَاس بن سَمْعان الطويل « **أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون**»[1]، وهذا هو الفساد المرتقب منهم، فسيخرجون في آخر الزمان من كل حدبٍ ينسلون، ويعيثون في الأرض فسادًا، حتى يدعو عيسى بن مريم ربه عليهم، فيصبحون موتى كنفسٍ واحدة.

هؤلاء هم يأجوج ومأجوج، وأما ما يذكر في الإسرائيليات من أن بعضهم طويلٌ طولًا مفْرِطًا، وأن بعضهم قصيرٌ قصرًا مفرطًا، وأن بعضهم لديه آذانٌ يفترش إحدى الأذنين ويلتحف بالأخرى، وما أشبه ذلك: فإن كل هذا لا صحة له، بل الصحيح الذي لا شك فيه أنهم كغيرهم من بني آدم، أجسادهم وما يحسون به وما يشعرون به، فهم بشر كسائر البشر، لكنهم أهل شرٍ وفساد.

***

(١٨٥) يقول السائل: ما المقصود بيأجوج ومأجوج؟ وماذا تعرفون عنهم، كما ورد ذكرهما في القرآن الكريم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المقصود بيأجوج ومأجوج أنهما قبيلتان من بني آدم، كما جاء في ذلك الحديث عن النبي ﷺ، وما ورد في بعض الكتب من أن منهم القصير جدًا والصغير، ومنهم الكبير، ومنهم الذي يفترش أذنًا من أذنيه ويلتحف بالأخرى، وما أشبه ذلك، فكل هذه لا أصل لها، وإنما هم من بني آدم وعلى طبيعة بني آدم، لكنهم كانوا في وقت ذي القرنين، كانوا قومًا مفسدين في الأرض، فطلب جيرانهم من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبينهم سدًّا، حتى يمنعهم من الوصول إليهم وإفسادهم في أرضهم، وفعل ذلك

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

وقال: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٦] ففعلوا، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا، فكفى الله جيرانهم شرهم.

ثم إنهم في آخر الزمان، وبعد نزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- يخرجون على الناس ويبعثون بمعنى أنهم يخرجون وينتشرون في الأرض، ويحصرون عيسى بن مريم والمؤمنين معه في جبل الطور، ثم يلقي الله -تبارك وتعالى- في رقابهم دودةً تأكل رقابهم، فيصبحون فَرْسَى -يعني: جمع فريسة، يعني: موتى- كلهم ميتة رجلٍ واحد، ويقي الله -سبحانه وتعالى- عيسى وأصحابه شرهم.

***

(١٨٦) يقول السائل ش. م. م. من العراق، محافظة صلاح الدين: يقول الله -عز وجل- في سورة الكهف: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف: ٩٤] فمن هم يأجوج ومأجوج؟ وأين يوجدون؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يأجوج ومأجوج ذكرهم الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧] وفي قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤]، وهاتان قبيلتان من بني آدم، كما ثبت به الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: إن الله يقول يوم القيامة: يا آدم! فيقول لبيك وسعديك! فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار. فقال: يا ربي وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. فشق ذلك على الصحابة وقالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الواحد؟ يعنون: الذي ينجو من النار. فقال رسول الله ﷺ: «**أبشروا! فإنكم في أمتين -أو قال: بين**

أمتين- ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج»[1]، وهذا دليل واضح على أنهما قبيلتان من بني آدم، وهو كذلك، وهم موجودون الآن، وظاهر الآية الكريمة أنهم في شرق آسيا، لأن الله قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٠-٩٤]، فظاهر سياق الآيات الكريمات أنهم كانوا في الشرق، ولكن هاتان الأمتان سيكون آخر الزمان لهم دور كبير في الخروج عن الناس، لما جاء في حديث النواس بن سمعان الذي رواه مسلم في صحيحه: **«إن الله تعالى يوحي إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، يأجوج ومأجوج، فحرِّز عبادي إلى الطور»**[2] فخروجهم الكبير المنتشر الذي يظهر به فسادهم أكثر مما هم عليه الآن سيكون في آخر الزمان، وذلك في وقت نزول عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام-.

***

(١٨٧) يقول السائل: كثيرًا ما نسمع أن الساعة لا تقوم حتى يعم الإسلام الأرض، ونسمع من جهةٍ ثانية أنها لا تقوم ويبقى من يقول: لا إله إلا الله في الأرض، فكيف نوفق بين هذين القولين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوفيق بينهما سهل، وهو: أن كل واحدٍ منهما في زمنٍ غير زمن الآخر، فالإسلام يعم الأرض كلها، ثم بعد ذلك يندثر هذا الإسلام ويموت المؤمنون، ولا يبقى إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(١٨٨) يقول السائل: ما مدى صحة ما يقال بأن من يموت في رمضان أو يوم الجمعة لا يعذب عذاب القبر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: عذاب القبر ثابت لكل من يستحقه، سواء مات في يوم الجمعة أو في رمضان، أو في أي وقت آخر، ولهذا كان المسلمون يقولون في صلاتهم، في كل صلاة من صلواتهم في التشهد الأخير: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال.

إلا أن من مات مجاهدًا في سبيل الله فإنه لا يأتيه الملكان اللذان يسألانه عن دينه وربه ونبيه، لأن بارقة السيوف على رأسه أكبر امتحان له واختبار، وأكبر دليل على أنه مؤمن، وإلا لما عرض رقبته لأعداء الله.

***

(١٨٩) يقول السائل ع. من المملكة الأردنية الهاشمية: هل الميت يبصر؟ وما مدى بصيرته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الميت لا يبصر البصر المعروف في الدنيا، لأنه قد فقد الإحساس بموته، لكنه يبصر ما يراه في قبره من عالم الآخرة، ويفسح له في قبره مد البصر إن كان مؤمنًا، ويرى الملكين يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

وأما ما يتعلق بأمور الدنيا فإنه لا يبصره، لأنه قد حجب عن أمور الدنيا بموته.

***

(١٩٠) يقول السائل: إذا توفي الإنسان هل يذهب إلى الجنة أو إلى النار بعد وفاته، أو يبقى في القبر إلى يوم القيامة؟ نرجو توضيح ذلك مع إضافة بعض المعلومات عن ذلك وشكرًا لكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما جسم الميت فإنه يبقى في الأرض في المكان الذي دفن فيه إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم

مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فهو باقٍ في الأرض.

وأما روحه فإنها تكون في الجنة أو تكون في النار، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢]، فبين أن هذا القول يكون عند الوفاة، فمعنى ذلك أنهم يدخلون الجنة يوم وفاتهم، وهذا لا يكون إلا للروح، لا يكون للبدن، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الميت في قبره إذا كان مؤمنًا « **يَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ**»[1]، ويأتيه من روحها ونعيمها، وأما الكافر فإن روحه أيضًا يذهب بها إلى العذاب، قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، وفيها قراءة: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ [النساء: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١]، فهذا دليل على أن الميت المؤمن يلقى جزاءه في الجنة من يوم موته، والكافر يلقى عذابه في النار من يوم موته، وهذا بالنسبة للروح، أما البدن فإنه يبقى في الأرض إلى يوم القيامة، وقد تتصل الروح به معذبةً أو منعمة، كما تدل على ذلك الأحاديث.

***

(١٩١) يقول السائل: بارك الله فيكم فضيلة الشيخ هل الميت يسمع السلام والكلام، ويشعر بما يفعل لديه أم لا؟

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، بابٌ، رقم (٢٤٦٠).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه مسألة اختلف فيها أهل العلم، والسنة فيها قد بينت بعض الأشياء، فقد صح عن النبي -عليه الصلاة والسلام- «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان**»[(١)] فامتحناه، فأثبت النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه يسمع قرع النعال، وأخبر النبي ﷺ أنه «**ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا عَرَفَه ورد عليه السلام**»[(٢)] وهذا الحديث صححه ابن عبد البر، وذكره ابن القيم في (كتاب الروح) ولم يعقب عليه.

وربما يؤيد هذا أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان إذا خرج إلى المقابر قال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»[(٣)]، فإنه قد يشعر بأنهم يسمعون ذلك ويردون، من أجل أنه وجه هذا الدعاء إليهم بالخطاب.

وعلى كل تقدير مهما قلنا بأن الميت يسمع، فإن الميت لا يسمع غيره ولو سمعه، يعني: أنه لا يمكن أن ينفعك الميت إذا دعوت الله عند قبره، كما لا ينفعك إذا دعوته نفسه، ودعاؤك الله عند قبره معتقدًا أن في ذلك مزية بدعةٌ من البدع، ودعاؤك إياه شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة.

فإن قال قائل: إن بعض الذين يدعون الأموات قد ينتفعون بدعائهم؟ فالجواب على ذلك: أن هذا الانتفاع لم يكن بدعائهم الميت، لكن كان عند دعائهم الميت، وفرق بين حصول الانتفاع بدعاء الميت وحصول الانتفاع عند دعاء الميت، لأنك إذا قلت: حصل الانتفاع بدعاء الميت كان دعاء الميت هو السبب في ذلك الانتفاع، وإذا قلت: عنده لم يكن هو السبب ولكن كان قريبًا منه في الوقت.

فنحن نقول: إن الله قد يبتلي الإنسان الذي يدعو أصحاب القبور

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، بابٌ، رقم (٢٤٦٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/ ٢٧).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، رقم (٢٤٩).

بحصول ما يدعو به عند دعائه امتحانًا له واختبارًا له، وإلا فنحن نعلم أن كل من دعا غير الله فإنه من أضل الناس، بل قد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، ولا عجب أن يبتلي الله الإنسان بمثل هذه البلوى، فهؤلاء هم أصحاب السبت، قومٌ من بني إسرائيل من اليهود كانوا في قريةٍ على شاطئ البحر، وكان عمل صيد الحوت محرمًا عليهم يوم السبت، فابتلاهم الله -عز وجل-، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت شرعًا على سطح الماء كثيرة، وفي غير يوم السبت لا تأتي الحيتان، فطال عليهم الأمد وقالوا: كيف نُحْرَمُ من هذه الحيتان؟ وما الحيلة في الحصول عليها؟ فزين لهم الشيطان حيلةً بأن يضعوا شبكًا يوم الجمعة في الماء، فإذا أتت الحيتان يوم السبت وقعت في هذا الشبك ولم تستطع الخروج منه، فإذا كان يوم الأحد جاءوا فأخذوها، تحيلوا على محارم الله بأدنى الحيل، فماذا كانت النتيجة؟ قال الله تعالى: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦]، فقلب الله هؤلاء القوم قردةً خاسئة ذليلة. والمهم من سياق هذه القصة أن الإنسان قد يبتلى بما يكون فتنةً له في دينه إن اتبعه، فهؤلاء الذين يدعون الأموات ربما يفتنون فيحصل لهم المطلوب عند دعائهم الأموات فتنةً لهم، وإلا فنحن نعلم علم اليقين أن الأموات لا ينفعون أحدًا مهما كان الأمر، لو دعاهم بالليل والنهار ما نفعوه، كيف وهم أمواتٌ جثث هامدة؟ ولكن من لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

***

(١٩٢) تقول السائلة أ. إ. س. من العراق، محافظة التأمين: لقد ذكر الله جل شأنه في كتابه العزيز أن أصحاب الكهف ناموا أكثر من ثلاثمائة سنة، وأن العزير أماته الله -سبحانه وتعالى- مائة، ثم بعثهم وبعثه، وقد علمنا من شأنهم بقية القصة. السؤال: هل الموتى لا يحسون بمدة موتهم إلى أن يحييهم الله يوم القيامة؟ وضحوا لنا ذلك جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-:

أولًا: هي ذكرت قصتين: قصة أصحاب الكهف، وقصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه كان عزيرًا، فهو رجلٌ حصلت له هذه القصة. والعبرة لما في القصة من آيات الله -عز وجل-.

أما أصحاب الكهف فإنهم لم يموتوا ولكنهم ناموا، ألقى الله عليهم النوم هذه المدة الطويلة التي قال الله عنها: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] ولما استيقظوا تساءلوا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، لأن النائم -كما هو مشاهد ومحسوس- لا يحس بالوقت، قد ينام الإنسان يومًا أو يومين وكأنه لم ينم إلا ساعة أو ساعتين، وهذا شيء مشاهد.

والظاهر أن الموت كالنَّوم، وهي التي صارت فيها القصة الثانية، فإن هذا الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، فاستبعد أو استفهم كيف يحيي الله الأرض هذه القرية بعد موتها؟ فأراه الله -عز وجل- هذه الآية العظيمة، أماته الله مائة سنة ثم بعثه من موته، وسأله: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ثم أمره -عز وجل- أن ينظر إلى طعامه وشرابه لم يتغير، مع أنه بقي مائة سنة، فلم ييبس من شمس ولا رياح، والطعام لم ينتن، بل هو باق كما كان، أما الحمار فإنه قد مات و ذهب جلده ولحمه ولم يبق إلا عظامه، فقال الله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فشاهد العظام ينشز الله بعضها ببعض بواسطة العصب، فلما تكاملت كساها الله لحمًا فكان حمارًا كاملًا، وهذا من آيات الله العظيمة الدالة على قدرته، وأنه على كل شيء قدير.

والخلاصة أن في هاتين القصتين من آيات الله العظيمة ما هو ظاهر للمعتبر، وأن الجواب على سؤال السائلة -وهو: أن الميت لا يدري عن المدة التي تمر عليه-: أن الظاهر أن الميت كالنائم، ينطوي عليه الوقت، ولا يدري عن سرعته.

***

(١٩٣) يقول السائل: فضيلة الشيخ إمام وخطيب المسجد الجامع الكبير بعنيزة السلام عليكم، سؤالي ما يلي: كيف يتأذى الميت بدخول إنسان لا يصلى معه في القبر؟ ألم يكن كل واحد ذهب إلى مقعده، إن كان في الجنة فهو في الجنة، والثاني في النار فهو في النار؟ أم كيف يكون التأذي؟ أرجو من فضيلة الشيخ إجابة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإجابة على هذا السؤال أن نقول: إنه لا يحل أن يدفن شخص لا يصلى مع شخص مسلم، بل ولا يحل أن يدفن وحده في مقابر المسلمين، والواجب أن يدفن من مات لا يصلى في مكان غير مقابر المسلمين، لأنه ليس منهم.

هذا القول الراجح الذي رجحناه بأدلة من كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وقد سبق لنا مرارًا من هذا البرنامج ذكر الأدلة الدالة على كفر تارك الصلاة كفرًا مخرجًا عن الملة، سواء كان مُقِرًّا بفرضيتها أم كان جاحدًا بل إذا كان جاحدًا كفر وإن صلى، إلا أن يكون جاهلًا بأحكام الإسلام، كحديث عهد بالإسلام، فإنه يعرف ويبين له، فإن أقر بالوجوب و إلا كان كافرًا.

المهم أنه لا يجوز أن يدفن من لا يصلى مع شخص مسلم، ولا في مقابر المسلمين، بل إن المشروع ألا يدفن مسلم مع آخر في قبر واحد، وإنما يدفن كل واحد وحده في قبره.

واختلف العلماء -رحمهم الله-: هل دفن الميت مع ميت آخر محرم لا

يجوز إلا للضرورة، أو مكروه يجوز عند الحاجة إليه ولو بدون الضرورة، مع اتفاقهم على أن المشروع أن يدفن كل ميت وحده؟

وأما قول السائل: إنه يتأذى به، فهذا الأمر يحتاج إلى توقيف وإلى نص من الشرع أن الميت يتأذى بمن دفن معه إذا كان ممن يعذب في قبره، وهذا أمر لا أعلم عنه شيئًا من السنة، وإن كان بعض العلماء -رحمهم الله- يقولون: إن الميت قد يتأذى بجاره إذا كان يعذب، وقد يتأذى بفعل منكر عنده، ولكن لم أجد دليلًا من السنة يؤيد هذا. والله أعلم.

***

(١٩٤) يقول السائل ع. م. أ. مصري: هل عذاب القبر يختص بالروح أم بالبدن؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: عذاب القبر ثابت بكتاب الله وسنة رسوله.

أما في كتاب الله فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وفي قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وأما الأحاديث التي فيها عذاب القبر فهي كثيرة، ومنها الحديث الذي يعرفه الخاص والعام من المسلمين، وهو قول المصلي: «**أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[1]، وعذاب القبر في الأصل على الروح، وربما يتصل بالبدن أحيانًا، ولا سيما حين سؤال الإنسان عن ربه ودينه ونبيه حين دفنه، فإن روحه تعاد إلى جسده، لكنها إعادة برزخية لا تتعلق بالبدن تعلقها به في الدنيا، ويُسْأَل الميت عن ربه ونبيه ودينه، فإذا كان كافرًا أو منافقًا قال: هاه هاه لا أدري، سمعت

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، رقم (٢٤٩).

الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق.[١]

***

(١٩٥) يقول السائل: إن موت الإنسان يعني خروج الروح من الجسد، وعندما يدفن في القبر هل ترد الروح إلى جسده أم أين تذهب؟ وإذا كانت ترد الروح إلى الجسد في القبر فكيف يكون ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ثبت عن رسول الله ﷺ أن الميت إذا مات فإنها تعاد روحه إليه في قبره، ويسأل عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وأما الكافر أو المنافق فإنه إذا سئل يقول: ها، ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.[٢] وإعادة الروح إلى البدن في القبر ليست كحصول روح الإنسان في بدنه في الدنيا، لأنها حياة برزخية ولا نعلم كنهها، إذ إننا لم نخبر عن كنه هذه الحياة، وكل الأمور الغيبية التي لم نُخْبَرْ عنها فإن واجبنا نحوها التوقف، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

***

(١٩٦) يقول السائل: تنقسم حياة الإنسان إلى ثلاث: حياة الدنيا وهي التي نعيشها، ثانيًا: حياة الآخرة معروفة، ثالثًا: بين الحياة الدنيا وبين الآخرة حياة البرزخ، فما هي حياة البرزخ؟ وهل الإنسان يكون بجسده وروحه فيها؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حياة البرزخ حياةٌ بين حياتين، وهذه الأنواع

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣).

(٢) تقدم تخريجه.

الثلاثة للحياة تكون من أدنى إلى أعلى: فحياة البرزخ أكمل من الحياة الدنيا بالنسبة للمتقين، لأن الإنسان ينعم في قبره، ويفتح له بابٌ إلى الجنة، ويوسع له مد البصر.

وحياة الآخرة -وهي الجنة التي هي مأوى المتقين- أكمل وأكمل بكثيرٍ من حياة البرزخ. وكذلك يقال بالنسبة للكافر، يقال: إن حياته في قبره أشد عذابًا مما يحصل له من عذاب الدنيا، وعذابه في النار التي هي مأوى الكافرين أشد وأشد، فحياة البرزخ في الواقع حياةٌ بين حياتين في الزمن وفي الحال، فحال الإنسان فيها بين حالين: دنيا وعليا، وكذلك الزمن كما هو معروف.

أما سؤاله: هل تكون الحياة البرزخية بالروح والبدن؟ فهي قطعًا بالروح بلا شك، ثم قد تتصل بالبدن أحيانًا إن بقي ولم تأكله الأرض، ولم يحترق ويتطاير في الهواء، وقد لا تتصل.

هذا هو القول الراجح في نعيم القبر أو عذابه: أنه في الأصل على الروح، وقد تتصل بالبدن، لكن ما يكون عند الدفن فالظاهر أنه يكون على الروح والبدن جميعًا، لأنه جاء في الأحاديث ما يدل على ذلك، من أن الميت يجلس في قبره ويُسْأل، ويوسع له في قبره، ويضيق عليه حتى تختلف أضلاعه، وكل هذا يدل على أن النعيم أو العذاب عند الدفن يكون على البدن والروح.

***

(١٩٧) يقول السائل: ما هو اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية أن الإنسان إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فأجلساه، وسألاه عن ثلاثة أشياء: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة -جعلنا الله وإخواننا المسلمين منهم- فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وأما المنافق فإنه

يقول: ها، ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. ثم يبقى المؤمن مُنَعَّمًا في قبره، والمنافق معذبًا في قبره.

والعذاب يكون في الأصل على الروح، ولهذا يحس بالعذاب ولو تمزق بدنه وأكلته السباع، وربما تتصل الروح بالبدن ويكون العذاب على الروح والبدن جميعًا.

ومسائل الآخرة كلها أمور غيب لا نطلع على شيء منها إلا عن طريق الوحي، ولهذا لا ينبغي لنا أن نتعمق في السؤال عنها، لأننا سنصل إلى باب مسدود، ولن نصل إلى شيء من التفاصيل إلا عن طريق الكتاب والسُّنَّة.

وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مر بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير**»[1] يعني: أنهما لا يعذبان في أمر شاق عليهما، بل هو أمر سهل، «**بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة**» يعني: بنقل الكلام كلام الناس بعضهم في بعض، ليفسد بينهم ويفرق بينهم. فأمر بجريدة رطبة فشقها نصفين، فجعل على كل قبر واحدة، فقالوا: لِمَ صنعت هذا يا رسول الله؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» ففي هذا الحديث دليل واضح على ثبوت عذاب القبر، وأنه قد ينقطع وقد يخفف.

أخذ بعض أهل العلم -رحمهم الله- من هذا أنه ينبغي أن يوضع على القبر جريدة رطبة، كما فعل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بهذين القبرين، لكن هذا مأخذ ضعيف جدًّا، لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ما كان يضع الجريدتين أو الجريدة الواحدة في كل من قُبر، لكن وَضَعها على هذين القبرين اللذين يعذبان، فوضع شيء من هذا على القبر يبرهن على إساءة الظن بصاحب القبر، وأنه الآن يعذب، وثُم هو بدعة، لأن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، مسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢).

النبي ﷺ إذا فعل شيئًا لسبب فإنه لا يقتضي أن يكون عامًّا في كل شيء، بل فيما ثبت في هذا السبب، ثم هذا السبب ليس أمرًا معلومًا، بحيث نعلم أن هذا الرجل يعذب في قبره فنضع له الجريدة، بل هو مجهول، وهو عذاب القبر، فلهذا ينهى أن يوضع على القبر شيء من الزهور أو شيء من الأغصان أو شيء من الجريد، لأن ذلك كله من البدع، ومتى قصد به التخفيف من العذاب عن هذا القبر صار إساءة ظن بصاحبه.

***

(١٩٨) يقول السائل إ. من الرياض: ما هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: عقيدتهم في الحياة البرزخية ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من الأدلة على أن الإنسان يعذب في قبره وينعم بحسب حاله، قال الله -تبارك وتعالى- في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال الله -تبارك تعالى-: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٦] وهذه الحياة التي يكون فيها النعيم أو العذاب حياة برزخية ليست كحياة الدنيا، فلا يحتاج فيها الحي إلى ماء ولا طعام ولا هواء، ولا وقاية من برد ولا وقاية من حر، حياة لا نعلم كيفيتها، بل هي من أمور الغيب التي لا يعلمها

إلا الله -عز وجل-، أو من وصل إليها وحصل له بها حق اليقين. ونحن نقرأ في صلواتنا: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال.(١)

***

(١٩٩) تقول السائلة: أرجو التحدث عن الحياة البرزخية كما جاء في سورة المؤمنون: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحياة البرزخية هي الحياة التي تكون بين موت الإنسان وقيام الساعة، والإنسان قد يُقْبَرُ فيدفن في الأرض، وقد يلقى في البحر فتأكله الحيتان، وقد يلقى في البر فتأكله الطيور والوحوش، ومع ذلك فإن كل واحد من هؤلاء يناله من الحياة البرزخية ما يناله. والحياة البرزخية من عالم الغيب، فلولا أن الله ورسوله أخبرانا بما يكون فيها ما علمنا عنها، ولكن الله تعالى أخبرنا في كتابه ورسوله ﷺ أخبرنا في سنته بما لا نعلمه عن هذا الأمر، فالحياة البرزخية يكون فيها العذاب ويكون فيها النعيم، إما على الروح وحدها أو تتصل بالبدن أحيانًا، لكن هذا العذاب ليس من عالم الشهادة، ولهذا يعذب الإنسان في قبره، ويُضَيَّق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، أو يفسح له في القبر وينعم فيه، ويفتح له باب من الجنة يأتيه من روحها ونعيمها، ولو أننا كشفنا القبر لوجدنا الميت كما دفناه بالأمس لم تختلف أضلاعه، ولم نجد رائحة من روائح الجنة ولا شيئًا من هذا، لأن هذه الحياة حياة برزخية غير معلومة لنا وليست من عالم الشهادة.

وأضرب مثلًا يقرب ذلك: إن الإنسان النائم نائم عندك، وهو يرى في منامه أنه يذهب ويجيء، ويبيع ويشتري، ويصلي، ويزور قريبًا له ويعود مريضًا، وهو في منامه مضطجع عندك كأنه لم ير شيئًا من ذلك، ومع ذلك هو يرى، هكذا أيضًا الحياة البرزخية، الميت يرى فيها ما يرى، وينعم فيها ويعذب،

---

(١) تقدم تخريجه.

لكن في جانب الحس لا يشاهد شيئًا من هذا، وذلك أن النوم أخو الموت في الواقع، لكن الموت أشد وأعظم عمقًا في مثل هذه الأمور.

والنفس لها تعلق بالبدن على وجوه أربعة:

الأول: تعلقها بالبدن في حال الحمل.

والثاني: تعلقها في حال الحياة الدنيا، وتعلقها في حال الحياة الدنيا يكون في حال اليقظة وفي حال النوم، ويختلف هذا عن هذا.

والثالث: تعلقها بالبدن في البرزخ.

والرابع: تعلقها بالبدن بعد البعث، وهذا الأخير هو أكمل التعلقات، ولهذا لا تفارق الروح البدن لا بنوم ولا بموت، إذ لا موت بعد البعث ولا نوم، وإنما هي حياة دائمة، حياة يقظة، لكن إما في نعيم دائم -أسأل الله أن يجعلني والمستمعين من هؤلاء- وإما في جحيم دائم والعياذ بالله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]، وأما أهل النعيم فهم في نعيم دائم، فهذه أنواع تعلق الروح بالبدن، ولكل منها خاصية ليست في الأخرى.

***

(٢٠٠) يقول السائل: كيف السؤال في القبر بعد ممات الإنسان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السؤال أنه يأتيه ملكان فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد. وأما المرتاب أو المنافق فهذا يقول: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بِمِرْزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين.[1]

***

(٢٠١) يقول السائل م.ع: ما حقيقة عالم البرزخ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أحيلك على نفسك: إذا كنت في البرزخ

---

(١) تقدم تخريجه.

فسوف تعرف ما حال الإنسان! ولكن الذي بلغنا من ذلك أن الإنسان إذا دُفِنَ وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فسألاه عن ربه ودينه ونبيه، فأما المؤمن -نسأل الله أن يجعلنا منهم- فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، وأما المنافق المرتاب -والعياذ بالله- فإنه إذا سئل قال: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته -أعاذنا الله وإياكم منهم- فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه والعياذ بالله، أي: يدخل بعضها بعضًا من الضيق، ويفتح له بابٌ إلى النار -أجارنا الله وإياكم منها- ثم يبقى الإنسان على أمرٍ لا ندري عنه بالتفصيل، لكننا نؤمن بعذاب القبر ونعيم القبر.

***

(٢٠٢) تقول السائلة ن.ع.ع. جدة: أرجو أن تُبَيِّنُوا لنا عذاب القبر وأسباب النجاة منه، وهل عندما يدفنون الميت ثم يقولون له بعد الفراغ من دفنه: إذا سألك الملكان: من ربك؟ فقل: ربي الله. ومن نبيك؟ وما دينك؟ هل صحيح أن الميت يسمعهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا دفن الميت وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم فقد تم توديعه، وحينئذ يأتيه الملكان فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فإن أجاب بالصواب فُسِحَ له في قبره، وفتح له باب إلى الجنة، ونادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدي. وإن توقف وقال: لا أدري، فإنه يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي. ويفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حَرِّها وسَمُومِها.

والأسباب المنجية من عذاب القبر كثيرة، وهي القيام بطاعة الله، فيفعل ما أمر الله به ويترك ما نهى الله عنه.

ومنها: التعوذ بالله من عذاب القبر، ولهذا أمرنا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن نتعوذ من عذاب القبر أمرًا عامًّا فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»[(١)]، وأمرنا أن نتعوذ بالله من عذاب القبر أمرًا خاصًّا بعد التشهد الأخير، حيث قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، فيقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[(٢)].

ومن أسباب عذاب القبر: عدم التنزه من البول، والمشي بين الناس بالنميمة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول -أو قال: لا يستنزه من البول-، وأما الثاني فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، وغرز في كل قبر واحدة، قالوا: لِمَ صنعت هذا يا رسول الله؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم يَيْبَسَا**»[(٣)] فبين النبي ﷺ سبب عذابهما بأن أحدهما لا يستنزه من البول، وأن الثاني كان يمشي بالنميمة، والنميمة هي نقل كلام الناس فيما بينهم على سبيل الإفساد، فيأتي للشخص ويقول: قال فلان فيك كذا، قال فلان فيك كذا، ليلقي العداوة بينهما.

وبهذه المناسبة أود أن أنبه على شيء يفعله بعض الناس وهو إذا فُرِغَ من دفن الميت وُضِعَ عليه غصن أخضر من جريد النخل أو غيره، اقتداء برسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حيث وضع الجريدة التي شقها نصفين على كل قبر واحدة، فإن هذا الذي يفعله بعض الناس بدعة، لأن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (٢٨٦٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

رسول الله ﷺ ما كان يفعله على قبر كل ميت، وأيضًا فإن الرسول ﷺ فعله لسبب، وهو أن أصحاب القبرين يعذبان، فما يدري هذا الرجل أن صاحبه يعذب حتى يضع عليه هذا الغصن الأخضر؟ وأيضًا فإن وضع هذا الغصن الأخضر شهادة بالفعل على أن صاحب القبر يعذب، فيكون في ذلك إساءة ظن بصاحب القبر، لكن بعض الناس لا يتأملون ماذا يتفرع على أفعالهم من المفاسد، فتجدهم يأخذون بظاهر الحال ولا يتأملون حق التأمل، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

***

(٢٠٣) يقول السائل: يقال: إن الكافر عندما يوضع في القبر ويأتيه منكر ونكير، يأتيانه في صورٍ مخيفة ومرعبة، فهل المؤمن يرى منكرًا ونكيرًا بنفس الصورة التي يراهما فيها الكافر؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: من المعلوم أنه لا يستوي المؤمن والكافر فيما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه، وأن المؤمن ينعم في قبره، ويوسع له فيه، وينور له فيه، ويفتح له فيه بابٌ إلى الجنة، وأما الكافر فإنه يعذب في قبره، ويضيق عليه فيه حتى تختلف أضلاعه والعياذ بالله، ويفتح له بابٌ إلى النار.

وأما المساءلة حين السؤال: فإن الميت يأتيه ملكان يسألانه عن ثلاثة أشياء: عن ربه ودينه ونبيه، فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد، وأما المرتاب فيقول: ها، ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. هذا هو ما عندي الآن حول الإجابة على هذا السؤال.

***

(٢٠٤) يقول السائل م.ع.م. من المدينة المنورة: ورد في الحديث الصحيح أن الميت عندما يوضع في قبره يسأل عن ثلاث: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟[1] بينما ورد عن الرسول ﷺ بأن ينتظر عند الميت بعد دفنه مقدار ما

---

(١) تقدم تخريجه.

تنحر الجزور.[1] **السؤال: الأسئلة المذكورة أعلاه الثلاثة لا تستغرق سوى دقيقتين أو ثلاث دقائق، فهل هناك أسئلة أخرى تستغرق مقدار نحر الجزور؟ آمل إفادتي مشكورين.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لم يرد عن النبي ﷺ أن الناس يمكثون عند القبر بمقدار ما تنحر الجزور، وإنما جاء ذلك عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أما الوارد عن النبي ﷺ فإنه كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت**»[2]، فالذي أمر به النبي -عليه الصلاة والسلام- أن نقف بعد دفن الميت إذا فرغنا من دفنه، أن نقف عليه وأن نقول: اللهم اغفر له، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم ثبته، ثلاث مرات ثم ننصرف، هذا هو الوارد فليقتصر عليه.

***

(٢٠٥) يقول السائل وهو مصري يعمل بالعراق: قرأت في كتاب يسمى (دقائق الأخبار) ما يفيد أن الإنسان بعد الموت يدخل عليه في القبر ملك اسمه دومان، فيقول له: اكتب عملك. فيقول: أين قلمي وحبري وورقي؟ فيمسك سبابة يده اليمنى ويقول: هذا قلمك، ويشير إلى فمه من هنا حبرك، ويقطع قطعة من جلد يده ويقول: هذا ورقك. وروى الكثير مما يحدث بعد الموت، مثل استئذان الروح من ربها بعد أسبوع وتعود إلى البيت الذي كانت تعيش فيه. هل هذا صحيح؟ وهل هناك ما يثبت ذلك من القرآن والسنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا غير صحيح بل هو باطل، والأمور الغيبية لا يجوز الاعتماد فيها على شيء لم يثبت فيها عن الله ورسوله، لأن الأمور الغيبية لا يطلع عليها إلا الله -عز وجل-، أو من أطلعه الله عليه ممن اصطفاه من الرسل، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت، رقم (٣٢٢١).

﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وما ذكره مما يكون للإنسان بعد موته فهو باطل لا أصل له.

وإني أُحذر أخي السائل من قراءة مثل هذه الكتب، وما أكثر أنواعها في الوعظ والترغيب والترهيب، فإن كثيرًا من الكتب المصنفة في الوعظ والترغيب والترهيب فيها أحاديث لا زمام لها، وإنما يقصد واضعوها أن يقووا رغبة الناس أو رهبتهم، وهذا خطأ، أرجو الله أن يعفو عنهم إذا كان صادرًا عن حسن النية، فالحذر الحذر من مثل هذه الكتب، وما صح من سنة رسول الله ﷺ فيه كفايتنا عن هذه.

***

(٢٠٦) يقول السائل: كيف النجاة من فتنة القبر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: النجاة من فتنة القبر أن يموت الإنسان على الإسلام، فإنه إذا مات على الإسلام أنجاه الله، لأنه إذا سئل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فسيجيب بالصواب، وحينئذ ينجو، فإن مات على نفاق -نسأل الله أن يعيذنا وإخواننا من النفاق- فإنه لن يجيب إذا سئل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ قال: ها. ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. فهذا لا ينجو من الفتنة، ويعذب في قبره والعياذ بالله.

***

(٢٠٧) يقول السائل: يقال: إنه إذا قامت القيامة فإن المسلمين الذين هم مؤدون للشريعة الإسلامية والمؤمنون بوجود الله ويوم القيامة فستأتيهم ريحٌ فيموتون، إلا الكفار فهم يرون أهوال يوم القيامة والأشياء التي تحصل حين قيام الساعة. ما مدى صحة ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس هذا بصحيح، بل إذا قامت الساعة فإن جميع الناس مسلمهم وكافرهم يشاهدون هذا اليوم العظيم، وينالهم ما ينالهم من شدائده وهمومه وكروبه وغمومه، ولكن الله تعالى ييسره على المسلم، كما

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وقال تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠] فاليوم عسير وشديد، وعسره وشدته على الجميع، ولكن هذا العسر والشدة ييسر على المؤمنين، ويكون غير شاقٍ عليهم، بخلاف الكافرين.

***

(٢٠٨) يقول السائل: كيف يقوم الناس من قبورهم يوم القيامة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقوم الناس من قبورهم حفاةً عراةً غرلًا بُهمًا.

أما حفاةً فمعناه: أنه ليس في أقدامهم نعالٌ ولا خفاف ولا جوارب، وأما عراة فمعناه: أنه ليس عليهم ثياب، العورات بَادِيَة، كما خرجوا من بطون أمهاتهم يخرجون من بطون الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، غرلًا أي: غير مختونين، أي: إن القلفة التي تقطع في الختان في الدنيا -وهي الجلدة التي على رأس الذكر- تعاد يوم القيامة، حتى يخرج الناس من قبورهم كما خرجوا من بطون أمهاتهم غير مختونين، وأما بُهمًا فمعناه: أنه ليس معهم مال يعرفون به، فلا درهم ولا دينار ولا متاع ولا شيء، ما هي إلا الأعمال الصالحة، هكذا يخرج الناس من قبورهم لرب العالمين -جل وعلا-.

***

(٢٠٩) يقول السائل: هل صحيح أن يوم القيامة يخفف على المؤمن حتى يصير كأنه وقت قصير جدًّا؟ أرجو بهذا إفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن المؤمن يخفف عنه ذلك اليوم حتى يكون يسيرًا جدًّا، ودليل ذلك في كتاب الله -عز وجل-، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وقال تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠] وقال تعالى: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾

[القمر: ٨]، وكل هذا يدل أن هذا اليوم يكون يسيرًا على المؤمنين، وبقدر ما يكون الإيمان عند العبد يكون اليسر في ذلك اليوم، لأن الجزاء من جنس العمل، نسأل الله أن ييسر علينا وعلى إخواننا المسلمين أهوال ذلك اليوم.

***

(٢١٠) تقول السائلة من محافظة واسط العزيزية العراق: إنها فتاة مؤمنة بالله تعالى، تحاول جاهدة أن تلتزم بتعاليم الإسلام السمحة، تقول: كثيرًا ما يراودني أفكار كثيرة عن مصيري والحساب يوم القيامة، حيث يبعث الله الخلائق ويحاسب الإنسان بما عمل. سؤال يا فضيلة الشيخ وهو الذي يحيرني هو: أن يوم القيامة الذي يتم فيه الحساب هل هو يوم واحد أخير لا غير، يتم فيه حساب كافة الخلائق أم ماذا؟ أو لا يجوز لنا التفكير في ذلك؟ نرجو بهذا إفادة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال المقدم من هذه المرأة فيه إشكال يحتاج إلى الجواب كما قالت، وفيه أن المرأة أثنت على نفسها خيرًا بكونها مؤمنة بالله تعالى، وتحاول جاهدة تصديق الشريعة الإسلامية، وهذا الثناء على النفس إن أراد به الإنسان أن يتحدث بنعمة الله -عز وجل-، أو أن يتأسى به غيره من أقرانه ونظرائه فهذا لا بأس به، وإن أراد به الإنسان تزكية نفسه وإدلاله بعمله على ربه -عز وجل- فإن هذا فيه شيء من المنّة، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]، وأما إذا كان المراد به مجرد الخبر فلا بأس به، لكن الْأَوْلَى تركه، فالأحوال إذًا في مثل هذا الكلام الذي فيه ثناء المرء على نفسه أربع:

الحال الأولى: أن يريد بذلك التحدث بنعمة الله عليه فيما حباه من نعمة الإيمان والثبات.

الثانية: أنه يريد بذلك تنشيط أمثاله ونظرائه على مثل ما كان عليه، فهاتان الحالان محمودتان، لما تشتملان عليه من هذه النية الطيبة.

الحال الثالثة: أن يريد بذلك الفخر والتباهي والإدلال على الله -عز وجل- بما هو عليه من الإيمان والثبات، وهذا غير محمود، لما ذكرناه من الآية.

الحال الرابعة: أن يريد بذلك مجرد خبر عن نفسه لما هو عليه من الإيمان والثبات، فهذا جائز ولكن الأولى تركه.

أما المشكلة التي ذكرت في سؤالها وتريد الجواب عنها، وهي أن يوم الحساب يوم واحد أو أكثر؟ فجوابها: أن يوم الحساب يوم واحد، ولكنه يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما قال الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ١-٤] أي: إن هذا العذاب يقع للكافرين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من صاحب ذهب و لافضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، وأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى به جبينه وجنبه و ظهره، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد**»[(١)]. وهذا يوم طويل، وهو يوم عسير على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وقال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠].

ومفهوم هاتين الآيتين أنه على المؤمن يسير، وهو كذلك، فهذا اليوم الطويل بما فيه من الأهوال والأشياء العظيمة ييسره الله تعالى على المؤمن، ويكون عسيرًا على الكافر، أسأل الله أن يجعلني وإخواني المسلمين ممن ييسره الله عليهم يوم القيامة.

والتفكير والتعمق في مثل هذه الأمور الغيبية هو من التنطع الذي قال النبي ﷺ فيه: (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون)[(٢)]،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

(٢) تقدم تخريجه.

ووظيفة الإنسان في هذه الأمور الغيبية التسليم، وأخذ الأمور على ظاهر معناها، دون أن يتعمق أو يحاول المقارنة بينها وبين الأمور في الدنيا، فإن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا، وإن كانت تشبهها في أصل المعنى وتشاركها في ذلك، لكن بينهما فرق عظيم.

وأضرب لك مثلًا بما ذكره الله -سبحانه وتعالى- في الجنة من النخل، والرمان، والفاكهة، ولحم الطير، والعسل، والماء، واللبن، والخمر وما أشبه ذلك، مع قوله -عز وجل-: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] وقوله في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[1]، فهذه الأسماء التي لها مسميات في هذه الدنيا لا تعنى أن المسمى كالمسمى، وإن اشترك في الاسم وفي أصل المعنى، فكل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى لا تكون مماثلة له في الحقيقة، فينبغي للإنسان أن ينتبه لهذه القاعدة، وأن يأخذ أمور الغيب بالتسليم على ما يقتضيه ظاهرها من المعنى، وأن لا يحاول شيئًا وراء ذلك.

ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحض -أي: العرق- وصار يتصبب عرقًا، وذلك لعظم السؤال في نفسه، ثم رفع رأسه وقال قولته الشهيرة التي كانت ميزانًا لجميع ما وصف الله به نفسه، قال رحمه الله: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**».

فالسؤال المتعمق في مثل هذه الأمور بدعة، لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أشد منا حرصًا على العلم والخير لم يسألوا النبي ﷺ مثل هذه الأسئلة، وكفى بهم قدوة.

---

(١) تقدم تخريجه.

وما قلته الآن بالنسبة لليوم الآخر يجري بالنسبة لصفات الله -عز وجل- التي وصف الله بها نفسه، من العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك، فإن مسميات هذه الألفاظ بالنسبة لله -عز وجل- لا يماثلها شيء مما يشاركها في هذا الاسم بالنسبة للإنسان، فكل صفة فإنها تابعة لموصوفها، كما أن الله -سبحانه وتعالى- لا مثيل له في ذاته فلا مثيل له في صفاته.

وخلاصة الجواب: أن اليوم الآخر يوم واحد، وأنه عسير على الكافرين، ويسير على المؤمنين، وأن ما ورد فيه أنواع الثواب والعقاب أمر لا يدرك كنهه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان أصل المعنى فيه معلومًا لنا في هذه الحياة الدنيا.

***

(٢١١) يقول السائل م. ع. م. من بغداد العراق: ما حكم الشرع في نظركم يا فضيلة الشيخ في حكم الطفل الذي يُولَدُ متخلفًا عقليًّا؟ وهل ورد في أحاديث الرسول ﷺ ما يشير إلى ذلك؟ وهل هناك تفسير لآياتٍ قرآنية كريمة تتعلق بذلك؟ وهل يحاسب يوم القيامة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المولود وهو متخلفٌ عقليًّا حكمه حكم المجنون ليس عليه تكليف، فلا يحاسب يوم القيامة، ولكنه إذا كان من أبوين مسلمين أو أحدهما مسلم فإن له حكم الوالد المسلم، أي: إن هذا الطفل يكون مسلمًا فيدخل الجنة، وأما إذا كان من أبوين كافرين، فإن أرجح الأقوال أنه يمتحن يوم القيامة بما أراد الله -عز وجل-، فإن أجاب وامتثل أدخل الجنة، وإن عصى أدخل النار، هذا هو القول الراجح في هؤلاء، وهذا القول منطبق على من لم تبلغهم دعوة الرسول ﷺ، كأناسٍ في أماكن بعيدة عن بلاد الإسلام، ولا يسمعون عن الإسلام شيئًا، فهؤلاء إذا كان يوم القيامة امتحنهم الله -سبحانه وتعالى- بما شاء، فمن أطاع منهم دخل الجنة، ومن عصى دخل النار.

قد يقول قائل: كيف يمتحنون وهم في دار الجزاء، وليسوا في دار التكليف؟ فجوابنا على هذا:

أولًا: إن الله -سبحانه وتعالى- يفعل ما يشاء، فله أن يكلف عباده في الآخرة كما كلفهم في الدنيا، ولسنا نحن نحجر على الله -عز وجل-.

ثانيًا: إن التكليف في الآخرة ثابت بنص القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣]، فدلت هذه الآية على أن التكليف قد يقع في الآخرة.

فالذي وُلِدَ متخلفًا عقليًّا حكمه حكم المجانين، وليس عليه تكليف، وحكمه حكم أبويه إن كانا كافرين، وإن كانا مسلمين أو أحدهما فهو مسلم. وبهذا الجواب يتبين حكم هذا المولود المتخلف عقليًّا، وما ذكرناه فإنه مقتضى دلالة الكتاب والسُّنَّة، فإن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن الصغير حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ.[1]

يقول السائل: هل هناك تفسير لآيات قرآنية كريمة تتعلق بذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كما قلت قبل قليل القرآن والسنة، كلٌّ منهما يدل على أن المجنون ومن في حكمه ليس عليه تكليف.

يقول السائل: وهل وجود طفل متخلف في العائلة هو عقوبة للوالدين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المصائب التي تصيب الإنسان تارةً تكون عقوبة، وتارةً تكون امتحانًا، تارةً تكون عقوبة إذا فعل الإنسان محرمًا أو ترك واجبًا، فقد يعجل الله له العقوبة في الدنيا، ويصيبه بما شاء من مصيبة، وقد يصاب الإنسان بمصيبة لا عقوبة على ترك واجبٍ أو فعل محرم، ولكن من باب الامتحان يمتحن الله بها الإنسان، ليعلم -عز وجل- أيصبر أو لا يصبر؟ وإذا صبر كانت هذه المصيبة منحة لا محنة، يرتقي بها هذا الإنسان إلى المراتب العالية وهي مرتبة الصابرين، لأن الصبر لا يحصل إلا بشيءٍ يصبر عليه، ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، والسكران والمجنون وأمرهما، تعليقا.

كان رسول الله ﷺ يوعك -يعني: يمرض- كما يوعك الرجلان منا، أي: يشدد عليه في الوعك، لأجل أن ينال بذلك أعلى درجات الصابرين -عليه الصلاة والسلام-.

***

(٢١٢) يقول السائل: ما مصير الأطفال الذين يموتون دون البلوغ والتكليف، سواءٌ كانوا مسلمين أو غير مسلمين، في الآخرة؟ وهل الحديث الذي معناه: «كل مولودٍ يولد على الفطرة»[١] ينطبق حتى على أطفال غير المسلمين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مصير أطفال المؤمنين الجنة، لأنهم تبعٌ لآبائهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وأما أطفال غير المؤمنين، يعني: الطفل الذي نشأ من أبوين غير مسلمين، فأصح الأقوال فيهم أن نقول: الله أعلم بما كانوا عاملين، فهم في أحكام الدنيا بمنزلة آبائهم، أما في أحكام الآخرة فإن الله أعلم بما كانوا عاملين، كما قال النبي ﷺ: **«والله أعلم بما كانوا عاملين»**[٢] هذا ما نقوله، وهو في الحقيقة أمرٌ لا يعنينا كثيرًا، إنما الذي يعنينا هو حكمهم في الدنيا، وأحكامهم في الدنيا أنهم كالمشركين، بمعنى: أنهم لا يغسلون، ولا يكفنون، ولا يصلى عليهم، ولا يدفنون في مقابرنا.

***

(٢١٣) يقول السائل: ما مصير أطفال المشركين أو الكفار الذين يموتون؟ هل هم في النار أم في الجنة؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٥)، مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٤)، مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أطفال المشركين والكفار: إذا كان الأم والأب كلاهما كافرًا فإن هؤلاء الأولاد لهم حكم الكفار في الدنيا، فلا يغسلون، ولا يكفنون، ولا يصلى عليهم، ولا يدفنون في مقابر المسلمين.

أما في الآخرة فأصح أقوال أهل العلم في ذلك أنهم لا يعلم مصيرهم، وأن علمهم إلى الله -عز وجل-، لأنهم ممتحنون يوم القيامة بما أراده الله، فإن امتثلوا وأطاعوا دخلوا الجنة، وإلا فهم في النار.

***

(٢١٤) يقول السائل: هل التائب من الذنوب لا يحاسب على ذنوبه الماضية إذا تاب توبة صادقة؟ وهل مرتكبوا الكبائر إذا تابوا تقبل منهم توبتهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم إذا تاب الإنسان توبة نصوحًا فإن الله تعالى يقبل منه مهما عظم الذنب، دليل ذلك قوله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذه عامة ليس فيها تفصيل، أن مَنْ تاب من أي ذنب فإن الله يتوب عليه، وقال تعالى في التفصيل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، فالذنب مهما عظم إذا تاب الإنسان منه توبة نصوحًا غفره الله -عز وجل-، فهنا تجد أن الله تعالى ذكر الشرك وقتل النفس بغير حق والزنى، وكلها عدوان عظيم، الأول: عدوان في حق الخالق -عز وجل-، والثاني: عدوان على النفس في حق المخلوق، والثالث: عدوان على العرض في حق المخلوق، ومع ذلك إذا تاب الإنسان وآمن وعمل عملًا صالحًا بدَّل الله سيئاته حسنات.

ألم تر إلى قوم كانوا مشركين مضادين لدعوة الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فهداهم الله، وتابوا، وصاروا من قادة الأمة الإسلامية؟

لكن إذا كانت المعصية في حق مخلوق فلا بد من إيصال الحق إلى أهله، فلو سرق الإنسان مال شخص وتاب من السرقة تاب الله عليه، لكن لا بد أن يعيد المال إلى مالكه، لأنها لا تتم التوبة فيما يتعلق بحق المخلوق إلا برد الحق إلى أهله.

***

(٢١٥) يقول السائل: ما الفرق بين الكوثر والحوض؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الفرق بينهما أن الكوثر نهرٌ في الجنة أعطاه الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وأما الحوض فإنه في عرصات القيامة، يصب عليه ميزابان من الكوثر، هذا الحوض عظيم، طوله شهرٌ، وعرضه شهر، يرِدُه المؤمنون من أمة محمدٍ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، جعلنا الله وإياكم ممن يرده ويشرب منه، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، وريحه أطيب من ريح المسك، وآنيته كنجوم السماء في حسنها وكثرتها.

***

(٢١٦) يقول السائل:ما هو الحوض المورود ما هو؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحوض المورود حوض يكون في عرصات القيامة للنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، طوله شهر وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء في الكثرة والجمال، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، يصب عليه ميزابان من الكوثر الذي في الجنة الذي أعطيه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

أما أثره: فمن شرب منه شربة واحدة لم يظمأ بعدها أبدًا، اللهم اجعلنا ممن يشرب منه، اللهم اجعلنا ممن يشرب منه، اللهم اجعلنا ممن يشرب منه يا رب العالمين.

***

(٢١٧) يقول السائل: بالنسبة لحديث الحوض والذي يَرِدِ فيه الناس والذي يكون الرسول ﷺ قائمًا عليه، من هم هؤلاء الناس الممنوعون من الشرب؟ أهم أصحاب البدع؟ وهل للبدع أنواع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الممنوع من الشرب من حوض النبي ﷺ يوم القيامة كل من أحدث في دين الله ما ليس منه، لأن النبي ﷺ يقال له: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك. وكلما كان الإنسان أقوى في اتباع الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان وروده أضمن، ولهذا قيل: من ورد على شريعته فشرب ورد على حوضه فشرب، ومن لا فلا، ولكلٍ درجات مما عملوا.

وأما قول السائل: هل البدع أنواع؟ نعم البدع أنواع متعددة كثيرة، منها ما يوصل إلى الكفر، ومنها ما دون ذلك.

***

(٢١٨) يقول السائل م. ع. ح، يمني مقيم بمكة المكرمة: نعرف أن الصراط حق لا ريب، وأنه لا بد من العبور عليه، ولكننا سمعنا حديثًا عن صفته يقول بأن طوله مسيرة مائة عام في الاستواء، ومائة عام في الطلوع، ومائة عام في الهبوط، وأنه على متن جهنم. فهل هذا الحديث صحيح؟ وإن لم يكن كذلك فما هي حقيقته؟ ومتى يؤذن لمن تجاوزه بدخول الجنة؟ وما حكم من أنكر وجوده؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصراط كما ذكر السائل حق، واعتقاد وجوده واجب، وهو مما يعتقده أهل السُّنَّة والجماعة.

والصراط عبارة عن جسر ممدود على متن جهنم أَدَقُّ من الشعر وأَحَدُّ من السيف، وأما كون طوله كما ذكر السائل فإني لا أعلم في ذلك حديثًا صحيحًا عن النبي ﷺ، وهذا الصراط يعبر الناس عليه على قدر أعمالهم: منهم السريع، ومنهم البطيء، على حسب سيرهم على صراط الله المستقيم في هذه الدنيا، فمن كان مستقيمًا على الصراط في هذه الدنيا مسابقًا إلى الخيرات كان

مستقيمًا على صراط الآخرة سابقًا فيه، ومن كان دون ذلك كان دون ذلك، وربما يمر بعض الناس به فيلقى في جهنم ويعذب فيها بقدر عمله ثم ينجو، وأما الكافرون فإنهم لا يعبرون على هذا الصراط، وإنما يحشرون إلى جهنم وردًا، كما قال الله -عز وجل-، بدون أن يعبروا على ذلك الصراط، لأنهم لم يكونوا عابرين على الصراط في هذه الدنيا، فيكون جزاؤهم أن يحشروا إلى النار بدون أن يعبروا على هذا الصراط.

وأول من يجوز بأمته محمد ﷺ، ثم بعد هذا الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ويقتص لبعضهم من بعض، ثم يدخلون الجنة بعد أن يشفع النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى ربه في فتح أبواب الجنة، فيشفع إلى الله -عز وجل- أن تفتح أبواب الجنة فتفتح، ويكون أول من يدخلها محمدٌ ﷺ.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: ما حكم من أنكر وجوده؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حكم من أنكر وجوده: إن كان جاهلًا فإنه يعلَّم حتى يتبين له، فإذا بلغ بالأحاديث الواردة في ذلك فإنه يجب عليه أن يعتقده، فإن أنكره -مع علمه أن النبي ﷺ أخبر به- كان مرتدًّا كافرًا، لتكذيبه رسول الله ﷺ.

***

(٢١٩) يقول السائل: ما صفة الصراط عند المرور عليه؟ وهل ورد له صفة معينة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصراط هو جسر يوضع على النار، يعبر منه المؤمنون إلى الجنة -جعلنا الله وإياكم منهم- يمر الناس به على قدر أعمالهم، إما كلمح البصر، أو كالبرق، أو كالريح، أو كالفرس الجواد، أو كالإبل، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُكَرْدَسُ في نار جهنم ويعذب بقدر ذنوبه.

أما صفته فقد ورد أنه أَحَدُّ من السيف وأدق من الشعر، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه طريقٌ واسع، واستدلوا بقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله

وسلم-: «**إنه دحض ومزلة**»[1]، وهذا لا بد أن يكون واسعًا يسلكه الناس، وليس المهم أن نعرف هل هو واسع أو ضيق، المهم أن نعرف كيف يسير الناس عليه، ولماذا اختلف سير الناس عليه، فبعضهم كلمح البصر، وبعضهم كالبرق، وبعضهم يزحف، وبعضهم يلقى في النار.

والجواب: أن هذا على حسب أعمالهم في الدنيا وتلقيهم لشريعة الله، فمن كان مسرعًا لتلقي شريعة الله مسارعًا في الخيرات كان عبوره على الصراط يسيرًا خفيفًا سريعًا، ومن كان متباطئًا في شريعة الله وقبولها صار سيره على الصراط كعمله جزاءً وفاقًا.

***

(٢٢٠) يقول السائل: ذكر بعض المتحدثين بأن الصراط طوله ثلاثة آلاف سنة، فهل هذا ثابت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا ليس بثابت.

***

(٢٢١) يقول السائل: من صلى في المسجد النبوي ثمانين صلاة متتابعة، مع الحضور قبل الصلاة ليلحق تكبيرة الإحرام، ويشفع له الرسول ﷺ يوم القيامة، فهل هذا صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا أعرف عن صحة هذا شيئًا، ولكن شفاعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- لها أسبابٌ أخرى كثيرة:

منها: أن من أجاب المؤذن، ثم بعد فراغه صلى على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وسأل الله له الوسيلة، فإنها تحل له، أو تجب له شفاعة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩).

(٢٢٢) يقول السائل أ. م. من السودان: هل الأطفال الذين يموتون وهم صغار يشفعون لوالديهم يوم القيامة؟ أفيدونا مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا مات للإنسان أطفال فصبر واحتسب، فإنهم يكونون له حجابًا من النار وسترًا من النار، ويدخل بهم الجنة، أما إذا لم يصبر ولم يحتسب فإنه سيفوته من الأجر بقدر ما فاته من الصبر.

***

(٢٢٣) يقول السائل: هل يشفع الابن الصالح والولد الصالح لوالديه في الآخرة؟ وكيف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الأولاد الصغار الذين ماتوا وهم صغار: فإنه قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنهم يكونون سترًا وحجابًا من النار لوالديهم، وأما البالغون فيشفعون لآبائهم في الحال التي يُؤْذَنَ لهم فيها، ومن الشفاعة الدعاء للميت، فإن الدعاء للميت شفاعةٌ له، لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**ما من رجلٍ مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه**»(١) وهذا يدل على أن الدعاء للغير شفاعةٌ له، ومن ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(٢) فذكر الدعاء، لأن الدعاء شفاعةٌ للمدعوِّ له.

فأنا أحث إخواننا على كثرة الدعاء لوالديهم أحياءً أم أمواتًا، لأن ذلك طريق الأولاد الصالحين الذين امتثلوا قول الله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

***

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، رقم (٩٤٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

(٢٢٤) تقول السائلة أ. إ. س. من العراق، محافظة التأمين: وضعت طفلًا ميتًا بعد رمضان العام الماضي، وقد صمت الشهر كله ولله الحمد. والسؤال هو: هل يأتي يوم القيامة كبيرًا، كما سمعت من بعض النساء؟ هل لي أجر حمله تسعة أشهر وساعات ولادته العسيرة؟ وضحوا لنا ذلك بارك الله فيكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الطفل الذي ذكرته السائلة أنه مات، وتسأل: كيف يأتي يوم القيامة؟ جوابي على هذا: إننا لا نعلم كيف يأتي هذا الطفل يوم القيامة، ولكن قد ثبت أن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا، كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فالحفاة ليس عليهم نعال ولا خفاف، والعراة ليس عليهم ثياب، والغرل جمع أغرل، وهو الذي لم يختن، أي: إن جلدة الختان تعود يوم القيامة.

وأما سؤالها: هل لها أجر على ما حصل لها من المشقة على حمله والتعب في وضعه؟ فجوابه أن نقول: إن لها أجرًا في ذلك، فإنه لا يصيب المرأة، بل لا يصيب الإنسان، من هم ولا غم ولا أذى إلا كفر الله عنه، حتى الشوكة إذا أصابته وحصل فيها ألم فإنه يكفر به عنه من سيئاته، وإذا صبر واحتسب الأجر من الله كان له مع تكفير السيئات زيادة في حسناته على صبره، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فالمصائب التي تصيب الإنسان تكفير، ومع الصبر عليها و احتساب الأجر تكون مع التكفير زيادة في الحسنات.

***

(٢٢٥) تقول السائلة ح. م. أ. الرياض: كما نعلم يا فضيلة الشيخ من القرآن الكريم والسنة المطهرة مآل المشركين في الآخرة، سؤالي هو عن أطفالهم الصغار إذا ما ماتوا، ما حكم ذلك يا فضيلة الشيخ؟ أرجو إفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا مات أطفال الكفار وهم لم يبلغوا سن

التمييز فيُسلموا، وكان أبوه وأمه كافرين، فإن حكمه حكم الكفار في الدنيا، أي: لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين، لأنه كافر بأبويه، هذا في الدنيا.

أما في الآخرة: فالله أعلم بما كانوا عاملين، وأصح الأقوال فيهم أن الله -سبحانه وتعالى- يختبرهم يوم القيامة بما يشاء من تكليف، فإن امتثلوا أدخلهم الله الجنة، وإن أبوا أدخلهم النار. وهكذا نقول في أهل الفترة ومن لم تبلغهم الرسالات: إنهم إذا كانوا لا يدينون بالإسلام حكمهم في الدنيا حكم الكفار، وأما في الآخرة فالله أعلم بما كانوا عاملين، يختبرون ويكلفون بما يشاء الله -عز وجل- وما تقتضيه حكمته، فإن أطاعوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا النار.

***

(٢٢٦) يقول السائل: جاء في بعض الأحاديث أن القرآن يشفع للعبد[1]، يقول: يا رب إلى آخره، فكيف الجمع بين ذلك وبين أن القرآن كلام الله غير مخلوق، والحديث فيه أن القرآن يقول: يا رب؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الحديث إذا صح -لأن بعض أهل العلم ضعفه- فإن الله -سبحانه وتعالى- قادر على أن يكون هذا القرآن الكريم يُمَثَّل جزاؤه وأجره بشيء يتكلم فيتكلم، كما أن الموت -وهو معنى من المعاني- يمثل يوم القيامة على صورة كبش، فيذبح بين الجنة والنار، يشهده أهل الجنة وأهل النار.

فالمعنى -الذي هو عمل الإنسان، وهو قراءته، وثواب الإنسان على هذه القراءة- قد يجعله الله شيئًا ينطق ويتكلم ويقول: يا رب، هذا إن صح الحديث.

***

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤).

(٢٢٧) يقول السائل: هل صحيح أن الإنسان الذي يموت يكون إما في سجين وإما في عليين، جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هكذا جاءت به السنة أن الله -سبحانه وتعالى- يقول في الرجل الفاجر: «**اكتبوا كتاب عبدي في سجين، في الأرض السفلى**» وإذا كان من الأبرار قال: «**اكتبوا كتاب عبدي في عليين**»[1] وهكذا في الآخرة الناس إما في سجين وإما في عليين، إما في الجنة وإما في النار، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم: ١٤-١٦] وقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].

وإنني بهذه المناسبة أنبه على مسألة يقولها بعض الناس وهم لا يشعرون، وهي أنهم إذا تحدثوا عن شخص مات قالوا: ثم انتقل إلى مثواه الأخير، يعنون بذلك القبر، وهذا غلط واضح، لأن القبر ليس هو المثوى الأخير، بل المثوى الأخير إما الجنة وإما النار، أما القبر فإن الإنسان يأتيه ثم ينتقل عنه، وما مجيئه في القبر إلا كزائر بقي مدة ثم ارتحل.

وقد ذكر أن بعض الأعراب سمع قارئًا يقرأ قول الله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١-٢] فقال هذا الأعرابي: والله لنُبْعَثَنَّ، لأن الزائر ليس بمقيم.

ولهذا يجب الحذر من إطلاق هذه الكلمة -أعني: القول بأنه انتقل إلى مثواه الأخير- لأن مضمونها إنكار البعث وأنه لا بعث، ونحن نعلم أن المسلم إذا قالها لا يريد هذا المضمون، لكنها تجري على لسانه تقليدًا لمن قالها من حيث لا يشعر، فالواجب الحذر منها والتحذير منها.

***

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧).

(٢٢٨) يقول السائل ح. أ. من اليمن: لدينا طلاب متفقهون في الشرع، ويقولون بأن الله -عز وجل- سيرى يوم القيامة، فهل هذا صحيح؟ أرجو الإفادة مع الدليل من الكتاب والسُّنَّة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رؤية الله تعالى يوم القيامة صحيح ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف.

فمن أدلة ذلك في كتاب الله قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فناضرة الأولى بمعنى حسنة، وناظرة الثانية من النظر بالعين، ولهذا أضيف النظر إلى الوجوه التي هي محل الأعين.

ومن ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فقد فسر النبي ﷺ الحسنى بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله -عز وجل-.

ومن ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] يعني في ذلك الفجار، وهذا دليل على أن الأبرار يرون الله -عز وجل-، لأن الله تعالى لما حجب هؤلاء في حال سخط كان المفهوم أن الله تعالى لا يحجب هؤلاء في حال الرضا، أعني: الأبرار.

ومن ذلك قول الله -تبارك وتعالى-، وهي الآية الرابعة: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] فإن المزيد ينبغي أن يفسر بما فسرت به الزيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والذي فسر الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله هو النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، ولا شك أن النبي ﷺ أعلم الناس بمراد الله تعالى في كلامه.

وأما السنة: فالأحاديث في ذلك متواترة عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فقد تواتر عن النبي ﷺ أن الله يرى بالعين يوم القيامة، فمن ذلك قول النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل**

غروبها فافعلوا»[١] والصلاة التي قبل طلوع الشمس هي صلاة الفجر، والتي قبل غروبها هي صلاة العصر، وهاتان الصلاتان أفضل الصلوات، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**من صلى البردين دخل الجنة**»[٢] وقد صرح النبي ﷺ في أحاديث أخرى تصريحًا بالغًا من أقوى التصريحات فقال: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة عيانًا بأبصاركم، كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب**»[٣].

وأمَّا إجماع السلف: فهو أمر مشهور لا يخفى على أحد، ولهذا صرح بعض العلماء بأن من أنكر رؤية الله في الجنة فهو كافر، لأنه كَذَّبَ القرآن والسنة، وخالف إجماع السلف، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥] ولولا أننا نفضل الدعاء للمنكرين على الدعاء عليهم لقلنا: نسأل الله تعالى أن يحتجب عمَّن أنكروا رؤيته في الآخرة، ولكننا لا نفضل ذلك، بل نقول: نسأل الله تعالى الهداية لمن التبس عليه الأمر، وأن يقر ويؤمن بما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

والعجب أن من الناس من ينكر رؤية الله في الآخرة بشبه يأتي بها من القرآن والسنة، أو بشبه عقلية لا أساس لها من الصحة، فمنهم من قال: إن رؤية الله تعالى غير ممكنة في الآخرة، لأن موسى -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ** ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقرروا دليلهم ذلك بأنّ (لن) تفيد التأبيد، والتأبيد يقتضي أن يكون هذا عامًّا في الدنيا والآخرة، فيكون قوله: لن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم (٥٧٤)، مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الفجر والعصر، رقم (٦٣٥).

(٣) تقدم تخريجه.

تراني، أي في الدنيا وفي الآخرة. ولا شك أن هذا لبس وتلبيس وتخبيط، لأن موسى إنما سأل الله الرؤية في تلك الساعة، بدليل أن الله تعالى قال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وسؤال موسى الرؤية يدل على إمكانها، إذ لو لم تكن ممكنة عقلًا ما سألها موسى -عليه الصلاة والسلام-، لكن الإنسان في الدنيا لا يستطيع أن يرى الله -عز وجل-، وذلك لقصوره وضعفه، ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»[(١)]، ويدل لهذا أن الله تعالى لما تجلى للجبل اندك الجبل وهو الحجر الأصم، فكيف يمكن لجسم ابن آدم الضعيف أن يثبت لرؤية الله -عز وجل- في هذه الدنيا؟

أما في الآخرة فشأنها غير شأن الدنيا، وفي الآخرة من الأمور ما لا يمكن إطلاقًا في الدنيا: دنو الشمس قدر ميل يوم القيامة، لو حدث ذلك في الدنيا لاحترقت الأرض ومن عليها، كون الناس في الموقف يختلفون، يعرقون فيختلفون في العرق، منهم من يصل إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حِقْوَيْه، هذا أمر لا يمكن في الدنيا، لكنه في الآخرة ممكن، كون الناس يمشون على الصراط، وهو كما جاء في مسلم بلاغًا «**أدق من الشعر وأحد من السيف**»[(٢)] أمر لا يمكن في الدنيا، ويمكن في الآخرة، كون الناس يقفون خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون، حفاة عراة غرلًا، هذا لا يمكن في الدنيا وأمكن في الآخرة.

فإذا كانت رؤية الله في الدنيا لا تمكن فإنه لا يلزم من ذلك ألا تمكن في الآخرة، وأما دعواهم أن (لن) تفيد التأبيد فدعوى غير صحيحة، فإن الله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣).

تعالى قال في أهل النار: إنهم لن يتمنوا الموت أبدًا بما قدمت أيديهم، قال ذلك في اليهود، وقال عن أهل النار يوم القيامة: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] أي: ليهلكنا ويمتنا حتى نستريح، فهنا تمنوا الموت وسألوا الله تعالى أن يقضي عليهم، ولكن لا يتسنى لهم ذلك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ولهذا قال ابن مالك رحمه الله في الكافية:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

المهم أن من العقيدة عند السلف الواجبة أن يؤمن الإنسان بأن الله تعالى يرى يوم القيامة، ولكن متى يُرَى؟ يُرى في الجنة إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، فإن الله تعالى يكشف لهم كما شاء ومتى شاء وكيف شاء، فيرونه في عرصات القيامة، لا يراه الكافرون، يراه المؤمنون والمنافقون، ثم يحتجب الله تعالى عن المنافقين.

والخلاصة: أنه يجب علينا أن نؤمن بأن الله تعالى يُرَى يوم القيامة رؤية حق بالعين، فإن قال قائل: وإذا رُئِيَ هل يدرك كما يدرك الرائي وجه مرئيه؟ قلنا: لا، لا يمكن أن يدرك، لأن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والعجب أن المنكرين لرؤية الله في الآخرة استدلوا بهذه الآية على أنه لا يرى، وهو استدلال غريب، فإن الآية تدل على أنه يُرى أكثر مما تدل على أنه لا يرى، بل إنه ليس فيها دلالة إطلاقًا على أنه لا يُرى، لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك أخص من الرؤية، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، بل إنما يقتضي وجود الأعم، فنفي الإدراك دليل على وجود أصل الرؤية، ولهذا جعل السلف هذه الآية من الأدلة على ثبوت رؤية الله -عز وجل- في الآخرة، وهو استدلال صحيح واضح.

***

(٢٢٩) يقول السائل وهو سوداني مقيم بالمملكة منطقة الباحة: يذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى القول بأن مصير الموحدين إلى الجنة في نهاية المطاف، وجاء في الحديث: «أنه لا يدخل الجنة قاطع رحم»[(١)]، وأيضًا جاء: «لا يدخل الجنة نمام»[(٢)]، فهل الموحدون من هاتين الفئتين لا يدخلون الجنة كما هو ظاهر هذه النصوص؟ أم كيف يكون الجمع بينها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه النصوص وأمثالها من أحاديث أو من نصوص الوعيد هي التي جعلت طائفة الخوارج والمعتزلة أن يقولوا بخلود أهل الكبائر في النار، لأنهم أخذوا نصوص الوعيد ونسوا نصوصًا أخرى تعارضها، وهي ما ثبت في أدلة كثيرة من أن الموحدين، أو من في قلبه إيمان ولو مثقال حبة من خردل فإنه لا يخلد في النار، كما أن عمومات الأدلة الدالة على الرجاء، وأن المؤمن يدخل الجنة، حملت المرجئة على ألا يعتبروا بنصوص الوعيد، وقالوا: إن المؤمن ولو كان فاسقًا لا يدخل النار، فهؤلاء أخذوا بعمومات هذه الأدلة، وأولئك أخذوا بعمومات أدلة الوعيد، فهدى الله أهل السُّنَّة والجماعة إلى القول الوسط الذي تجتمع فيه الأدلة، وهو: أن فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان، وأنه مُستحق للعقوبة، ولكن قد يعفو الله عنه فلا يدخله النار، وقد يدعى له فيعفى عن عقوبته، وقد تكفر هذه العقوبة بأسباب أخرى، وإذا قُدِّرَ أنه لم يُحَصِّلْ شيئًا يكون سببًا لتكفيرها فإنه يعذب في النار على قدر عمله، ثم يكون في الجنة، هذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

وعلى هذا: فأحاديث الوعيد المطلقة أو العامة كما في الحديثين اللذين أشار إليهما السائل: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»، «**لا يدخل الجنة نمام**» تحمل على أن المعنى لا يدخلها دخولًا مطلقًا، أي: دخولًا كاملًا بدون تعذيب، بل لا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إثم قاطع الرحم، رقم (٥٩٨٤)، مسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، رقم (١٠٥).

بد أن يتقدم ذلك التعذيب، إن لم يوجد ما يمحو ذلك الإثم من عفو الله أو غيره، فيكون معنى «**لا يدخلون الجنة**» أي: الدخول المطلق الكامل الذي لم يسبق بعذاب، وبهذا تجتمع الأدلة.

يقول هذا السائل: هل السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة هؤلاء إيمانهم يكون كاملًا، ومن هم الذين يعذبون في النار ويدخلون الجنة؟ والذين يبقون في النار خالدين فيها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الناس الذين يبقون في النار خالدين فيها فهؤلاء الكفار الذين ليس لهم حسنات، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥]، وقد ذكر الله تعالى خلود الكافرين الأبدي في القرآن في ثلاثة مواضع:

الأول: في النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٩].

والثاني: في الأحزاب في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥].

والثالث: في سورة الجن في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وأما أهل المعاصي من المؤمنين فهؤلاء مستحقون لدخول النار والعذاب فيها بقدر ذنوبهم، ولكن قد يغفر الله لهم فلا يدخلون النار، وقد يشفع لهم فلا يدخلون النار.

وهناك أناس يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهم الذين وصفهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بقوله: «**لا يَسْتَرْقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»(١).

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، رقم (٥٧٠٥)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢١٨).

(٢٣٠) يقول السائل: فضيلة الشيخ، ما الدليل من الكتاب والسُّنَّة على دخول الرجل المسلم العاصي النار، ومن ثم خروجه إلى الجنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الدليل على هذا أحاديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- وردت كثيرًا بأن عصاة المؤمنين يدخلون النار، يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها، ومنهم من يخرج بالشفاعة قبل أن يستوفي ما يستحقه من عقوبة، ومنهم من يغفر الله له بفضله ورحمته فلا يدخل النار.

عصاة المسلمين ثلاثة أقسام: قسم يغفر الله له ولا يدخل النار أصلًا، وقسم آخر يدخل النار ويعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج، وقسم ثالث يدخل النار ويعذب، ولكن يكون له الشفاعة، فيخرج من النار قبل أن يستكمل ما يستحقه من العذاب.

***

(٢٣١) يقول السائل: هل يخلد صاحب الشرك الأصغر في النار؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يخلد صاحب الشرك الأصغر في النار، لأن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة، والذي يخلد به الإنسان في النار -أعاذنا الله منها- هو الشرك الأكبر، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، ولكن هل يكون الشرك الأصغر داخلًا تحت المشيئة كسائر الذنوب، أو لا بد فيه من توبة؟ هذا يحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] عامًّا للشرك الأصغر والأكبر، أي: إنه لا يغفر، لكن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار.

ويحتمل أن يقال: إن المراد بالشرك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] الشرك الأكبر، فيكون الشرك الأصغر داخلًا تحت قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وفضل الله -سبحانه وتعالى- أوسع مما نتصور، فنرجو أن يكون الشرك الأصغر داخلًا تحت المشيئة.

وبهذه المناسبة أود أن أنبه إلى مسألة حول هذه الآية، أعني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فإن بعض المتهاونين بالمعاصي إذا نُهُوا عن المعصية قال: إن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فجميع المعاصي داخلة تحت مشيئته، فيتهاون بالمعصية من أجل هذا الذي ذكره الله تعالى فيما دون الشرك.

فنقول له: أنت على كل حال مخاطر، فهل تعلم أن الله تعالى يشاء أن يغفر لك؟ إنك لا تدري، فربما تكون من الذين لا يشاء الله أن يغفر لهم، فأنت مخاطر، والخطر أمر منهي عنه.

ثم إن هناك أدلة أخرى محكمة ليس فيها اشتباه، وهي: وجوب التوبة إلى الله -عز وجل-، فقد قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

***

(٢٣٢) يقول السائل ع. أ. الطائف، الحوية: فضيلة الشيخ هل أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ يخلدون في النار أم لا؟ وهل تَحِلُّ لهم الشفاعة أم لا؟ وكيف يكون ذلك؟ أرجو منكم الإفادة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أهل الكبائر التي دون الكفر لا يخلدون في النار، لقول الله تبارك تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وهم من أهل الشفاعة الذين يشفع فيهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وهذا لا يعني أن الإنسان يتهاون بالكبائر، فإن الكبائر ربما توجب انْطِمَاسَ القلب حتى تؤدي إلى الكفر والعياذ بالله، كما قال الله -تبارك وتعالى- في سورة المطففين: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٠-١٤]، فهذا يشير إلى أن القلوب قد يُرَانُ عليها فترى الحق باطلًا، كما ترى الباطل حقًّا.

فعلى الإنسان أن يستعتب من كبائر ذنوبه قبل ألا يتمكن من ذلك، وأن يتوب إلى الله -عز وجل-.

***

(٢٣٣) تقول السائلة من الرياض: هل المسلم إذا دخل الجنة يتعرف على أقاربه الذين في الجنة؟ وهل يذكر أهله بعد موته ويعرف أحوالهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الشق الأول من السؤال، وهو: إذا دخل أحد الجنة هل يتعرف على أقاربه؟

فجوابه: نعم يتعرف على أقاربه وغيرهم من كل ما يأتيه سرور قلبه، لقول الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] بل إن الإنسان يجتمع بذريته في منزلةٍ واحدة إذا كانت الذرية دون منزلته، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

وأما الشق الثاني من السؤال، وهو: معرفة الميت ما يصنعه أهله في الدنيا؟ فإنني لا أعلم في ذلك أثرًا صحيحًا يعتمد عليه، ولكن بعض الوقائع تدل على أن الإنسان قد يعرف ما يجري على أهله، فقد حدثني شخص أنه بعد موت أبيه أضاع وثيقةً له، وصار يطلبها ويسأل عنها، فرأى في المنام أن أباه يكلمه من نافذة المجلس ويقول له: إن الوثيقة مكتوبة في أول صفحة من الدفتر الفلاني، لكن الورقة لاصقةٌ بجلدةٍ في الدفتر، فافتح الورقة تجد الوثيقة في ذلك المكان، ففعل الرجل ورآها كما ذكر أبوه، وهذا يدل على أن الإنسان قد يكون له علم بما يصنعه أهله من بعده.

***

(٢٣٤) يقول السائل ع. ع. من السودان: هل الرجل يتعرف على أولاده في يوم القيامة إذا كانوا سعداء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كان الأولاد سعداء والأب من السعداء

فإن الله -تبارك وتعالى- يقول في كتابه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١] يعني: أن الإنسان إذا كان له ذُرِّيَّةٌ، وكانوا من أهل الجنة، فإنهم يتبعون آباءهم وإن نزلت درجتهم عن الآباء، ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم ﴾ أي: ما نقصنا الآباء ﴿ مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ ﴾ بل الآباء بقي ثوابهم موفرًا، ورفعت الذُّرِّية إلى مكان آبائها، هذا ما لم يخرج الأبناء عن الذرية بحيث ينفردون بأزواجهم وأهليهم، فيكون هؤلاء لهم فضلهم الخاص ولا يلحقون بآبائهم، لأننا لو قلنا: كل واحد يلحق بأبيه ولو كان له أزواج أوكان منفردًا بنفسه، لكان أهل الجنة كلهم في مرتبة واحدة، لأن كل واحد من ذريته من فوقه، لكن المراد بالذرية الذين كانوا معه ولم ينفردوا بأنفسهم وأزواجهم وأولادهم، هؤلاء يرفعون إلى منزلة آبائهم ولا ينقص الآباء من عملهم من شيء.

***

(٢٣٥) يقول السائل: في حالة دخول الزوجين الجنة هل يلتقيان مرة ثانية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، إذا دخل الرجل وزوجته الجنة فهي زوجته لا تتعداه، وهو أيضًا لا يتعداها إلا فيما أعطاه الله تعالى من الحور العين، أو من نساء الجنة اللاتي ليس لهن أزواج في الدنيا.

وإذا كان للمرأة زوجان ودخلا الجنة فإنها تخير بينهما، فمن اختارت فهو زوجها، وفي الحديث أنها تختار أحسنهما خلقًا.

***

(٢٣٦) يقول المستمع ح. م. ص. من جدة، في سؤاله الأول: هل صحيحٌ أن الزوجين إذا كانا صالحين وتوفيا وكانا من أهل الجنة أنهما يكونان زوجين حتى في الجنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هذا صحيح، إذا مات رجل وزوجته

وكانا من أهل الجنة فإنها تبقى زوجةً له، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] والذُّرِّيَّةُ شاملة لذرية الزوج والزوجة، فإذا كان الله يلحق بالمؤمنين ذرياتهم فمعنى ذلك أن الزوج والزوجة يكونان سواءً، ويلحق الله بهما ذريتهما، وهذا من كمال النعيم الذي في الجنة، فإنها فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهذا من كمال النعيم كما قلت.

***

(٢٣٧) يقول السائل إ. م. ش: لقد عرفنا مصير الرجال في الجنة أن لهم زوجات من الحور العين، ويقصد الرجال من المسلمين، ولكن ما مصير النساء في الجنة؟ ألهن أزواجٌ أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول الله -تبارك وتعالى- في نعيم أهل الجنة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١-٣٢] ويقول تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]، ومن المعلوم أن الزواج من أبلغ ما تشتهيه النفوس، فهو حاصلٌ في الجنة لأهل الجنة ذكورًا كانوا أم إناثًا، فالمرأة يزوجها الله -تبارك وتعالى- في الجنة، يزوجها بزوجها الذي كان زوجًا لها في الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]، وإذا كانت لها زوجان في الدنيا فإنها تخير بينهما يوم القيامة في الجنة، وإذا لم تتزوج في الدنيا فإن الله تعالى يُزَوِّجُهَا ما تَقَرُّ به عينها في الجنة، فالنعيم في الجنة ليس قاصرًا على الذكور، وإنما هو للذكور وللإناث، ومن جملة النعيم الزواج.

ولكن قد يقول قائل: إن الله تعالى ذكر الحور العين وهن زوجات، ولم يذكر للنساء أزواجًا؟ فنقول: إنما ذكر الزوجات للأزواج، لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة، فلذلك ذكرت الأزواج للرجال في الجنة، وسكت عن الأزواج للنساء، ولكن ليس معنى ذلك أنه ليس لهن أزواج، بل لهن أزاج من بني آدم.

***

(٢٣٨) يقول السائل أ. ص: هل المرأة الصالحة في الدنيا تكون من الحور العين في الآخرة؟ أرجو منكم الإفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المرأة الصالحة في الدنيا تكون خيرًا من الحور العين في الآخرة، وأطيب وأرغب لزوجها، فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أخبر أن أول زُمْرَة تدخل الجنة على مثل صورة القمر ليلة البدر.

***

(٢٣٩) يقول السائل: فضيلة الشيخ هل الأوصاف التي ذُكِرَتْ للحور العين تشمل نساء الدنيا في القرآن؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذي يظهر لي أن نساء الدنيا يكن خيرًا من الحور العين حتى في الصفات الظاهرة والله أعلم.

ونقول للسائل: هذه أسئلة لا وجه لها، أنت إذا كنت من أهل الجنة ودخلت الجنة فستجد فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ستجد فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بَشَر، وهذه التساؤلات في أمور الغيب هي من التَّنَطُّعِ في دين الله، وقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»[1]، اصبر يا أخي حتى تدخل الجنة، فستجد ما لا يخطر لك على بال.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢٤٠) تقول السائلة ر. ق. ع: ما منزلة المرأة في الجنة مع وجود الحور العين؟ وماذا بالنسبة لزوجها؟ وهل المرأة تصبح زوجة للشهداء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن الزوجات يكن مع أزواجهن في الآخرة، يقول الله -عز وجل- في دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ولا شك أن الزوجة مع زوجها في الجنة لها مقام عظيم عالٍ، حتى إن بعض العلماء قال في دعاء الميت: «**وأبدلها زوجًا خيرًا من زوجها**» أن المعنى: أبدلها زوجًا خيرًا من زوجها، أي: اجعل زوجها لها في الجنة خيرًا مما هو عليه في الحياة الدنيا.

ثم إن قول الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] شامل لكل ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين، فليس فيها كَدَر ولا نَصَبٌ، ولا هَمٌّ ولا غَمٌّ، فلتبشر النساء بالخير، ولتعلم أن الجنة ليس فيها ما في الدنيا من الغيرة والتأذي.

***

(٢٤١) يقول السائل: وعد الله -عز وجل- الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم الجنة والحور العين، أرجو أن تعرفونا هل هذا خاص للرجال فقط بالنسبة للحور العين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين للرجال والنساء، وليقرأ السائل قول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، إلى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله تعالى:

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فما ثبت للرجال من الأُجور على الأعمال الصالحة فهو ثابت للنساء، وما ثبت من الأَوْزَارِ على الرجال فهو ثابت للنساء، لكن هناك أحكام تختص بالرجال وأحكام تختص بالنساء بدليل من الكتاب والسُّنَّة، فإذا كان هناك دليل يدل على اختصاص الرجال بحكم أو اختصاص النساء بالحكم فليكن هذا على مقتضى الدليل.

***

(٢٤٢) يقول السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نحن نعلم أن الله -سبحانه وتعالى- قد أعد الحور العين لعباده المؤمنين يوم القيامة في الجنة، فإذا كانت هنالك امرأة مؤمنة وأدخلها الله -سبحانه وتعالى- الجنة برحمته، أما زوجها فلسوء سعيه في الدنيا لم يدخل الجنة، فمن يكون زوجها يومئذٍ؟ أفيدونا مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: وعلى السائل السلام ورحمة الله وبركاته.

والجواب على سؤاله هذا يؤخذ من عموم قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١-٣٢] ومن قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج، أو كان زوجها ليس من أهل الجنة، فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال، وهم لهم زوجات من الحور، ولهم زوجات من أهل الدنيا إذا شاءوا وشغل ذلك أنفسهم.

وكذلك نقول، بالنسبة للمرأة إذا لم تكن ذات زوج، أو كانت ذات زوج في الدنيا ولكن زوجها لم يدخل مع أهل الجنة إنها إذا اشتهت أن تتزوج فلا بد أن يكون لها ما تشتهيه، لعموم هذه الآيات، ولا يحضرني الآن نص خاص في هذه المسألة. والعلم عند الله تعالى.

***

(٢٤٣) يقول السائل س. غ. ع. من العراق، الموصل: قرأت في كتاب للشيخ الإمام الغزالي حديثًا عن النبي ﷺ عن الشفاعة، فيمن أخرجهم الله من النار بشفاعته ﷺ، حين يقول الله تعالى: فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتي، فيخرج من النار أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط، فيدخلون الجنة فيكون في أعناقهم سمات، ويسمون عتقاء الله -عز وجل-.[1] فما مدى صحة هذا الحديث؟ وما معناه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الحديث متفق عليه بمعناه، يعني: روى البخاري ومسلم معنى هذا الحديث، إلا أن فيه كلمة منكرة في هذا السياق الذي ذكره الأخ، وهي قوله: (فتبقى شفاعتي)، فإن هذه اللفظة منكرة، واللفظ الذي ورد في الصحيحين: «**ولم يبق إلا أرحم الراحمين**».

وإنما كانت اللفظة التي ذكرها السائل منكرة لأن قوله: (وتبقى شفاعتي) عند من يشفع؟ فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي يشفع إليه، وليس يشفع إلى أحد -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

ومعنى هذا الحديث: أن الله -سبحانه وتعالى- يأذن للرسل والملائكة والنبيين، وكذلك لصالح الخلق، أن يشفعوا في إخراج من شاء من أهل النار، فيخرج من أهل النار من شاء الله، حتى إذا لم يبق أحد تبلغه شفاعة هؤلاء، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، أخرج الله -سبحانه وتعالى- بهذه الرحمة من شاء، وجعل في رقابهم خواتم على أنهم عتقاء الله -سبحانه وتعالى-، فيدخلون الجنة.

ومعنى قوله: «**لم يعملوا خيرًا قط**» أنهم ما عملوا أعمالًا صالحة، لكن الإيمان قد وقر في قلوبهم، فإما أن يكون هؤلاء قد ماتوا قبل التمكن من العمل، آمنوا ثم ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل، وحينئذ يصدق عليهم أنهم لم يعملوا خيرًا قط، وإما أن يكون هذا الحديث مقيدًا بمثل الأحاديث الدالة

---

(١) تقدم تخريجه.

على أن بعض الأعمال الصالحة تركها كفر كالصلاة مثلًا، فإن من لم يصل فهو كافر ولو زعم أنه مؤمن بالله ورسوله، والكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، وهو مخلد في النار أبد الآبدين والعياذ بالله.

فالمهم أن هذا الحديث إما أن يكون في قوم آمنوا ولم يتمكنوا من العمل، فماتوا فور إيمانهم، فما عملوا خيرًا قط، وإما أن يكون هذا عامًّا، ولكنه يستثنى منه ما دلت النصوص الشرعية على أنه لا بد أن يعمل كالصلاة، فإنه لا بد أن يصلى الإنسان، فمن لم يصل فهو كافر، لا تنفعه الشفاعة ولا يخرج من النار.

***

(٢٤٤) يقول السائل: الشياطين مخلوقة من نار، أي: نار السموم، وعدهم الله بنار الحميم، فكيف يكون عذابهم وهم خلقوا من نار؟ هل النار التي سيعذبون بها غير التي نعرفها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: النار التي يعذب بها الشياطين هي النار التي يعذب بها الكفار من بني آدم، ولا فرق بينهما، والإنسان إذا خلق من الشيء لا يلزم أن يكون هو الشيء، أرأيت نفسك أيها السائل: خلقت من طين، فهل أنت طين؟ من المعلوم أن الجواب: لا، ليس الإنسان بطين، هكذا الشياطين خلقت من نار ولكنها ليست نارًا، وإذا لم تكن نارًا فإنها أجسام لها خصائصها التي خصها الله بها، وإذا كان يوم القيامة فإنها تعذب بالنار.

***

(٢٤٥) يقول السائل إ. أ. ح: هل القضاء والقدر بمعنى واحد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القضاء والقدر إذا اجتمعا فلكل واحد معناه، وأما إذا أُفرِد أحدهما فإنه يشمل الآخر، فإذا قيل: قضاء وقدر. فالقضاء: ما قضاه الله تعالى في الأزل، وكتبه في اللوح المحفوظ. أما القدر فهو ما قدره الله تعالى فوقع، فأما إذا قيل: قضاء. فقط فإنه يشمل الأمرين جميعًا، وأما إذا قيل: قدر. فقط فإنه يشمل الأمرين جميعًا.

***

(٢٤٦) يقول السائل: هل القضاء والقدر بمعنى واحد؟ وما معناهما؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، القضاء والقدر بمعنى واحد إذا أُفْرِد أحدهما عن الآخر، فيقال مثلًا: يؤمن بقدر الله. أو: يؤمن بقضاء الله. وأما إذا جُمِعا فالقضاء: ما كتبه الله في الأزل، والقدر: ما قدَّر الله وجوده، أو بالعكس، أعني: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

***

(٢٤٧) يقول السائل: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هاتان الكلمتان مترادفتان إن افترقتا، ومتباينتان إن اجتمعتا. فإذا قيل: القضاء. بدون أن يقترن به القدر كان شاملًا للقضاء والقدر، وإذا قيل: القدر. دون أن يقترن به القضاء كان شاملًا للقضاء والقدر أيضًا.

وهذا كثير في اللغة العربية؛ أن تكون الكلمة لها معنى عامٌّ عند الانفراد، ومعنى خاص عند الاقتران. فإذا قيل: القضاء والقدر. جميعًا صار معنى القضاء: ما يقضي به الله -عز وجل- من أفعاله، أو أفعال الخلق. ومعنى القدر: ما قدر الله تعالى في الأزل، وكتبه في اللوح المحفوظ؛ ذلك لأن المقدور سبقه تقدير في الأزل، أي: كتابةٌ بأنه سيقع، وقضاءٌ من الله تعالى بوقوعه فعلًا.

وإن شئت فقل: الكتابة قدر، والمشيئة قضاء، والله تعالى يكتب الشيء، بل كتب الشيء في اللوح المحفوظ، ثم يشاؤه -سبحانه وتعالى- في الوقت الذي تقتضي فيه حكمته وجوده فيه. الثاني قضاء والأول قدر.

***

(٢٤٨) تقول السائلة أ. م. من القاهرة: ماذا يعني القضاء والقدر بالتفصيل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القضاء هو القدر إذا ذكر وحده، والقدر هو القضاء إذا ذكر وحده. فإن اجتمعا وقيل: القضاء والقدر. صار معنى القضاء:

ما يفعله الله -عز وجل-. ومعنى القدر: ما كتبه في الأزل. وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أن الإيمان بالقدر له مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله -عز وجل-؛ بأن يؤمن العبد بأن الله تعالى بكل شيء عليم، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه عالمٌ بما كان وما يكون، وأنه ما وقع شيء إلا بعلمه.

المرتبة الثانية: الإيمان بالكتابة، أي: أن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، كما قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١). ودليل هاتين المرتبتين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله العامة، وأن كل شيءٍ واقع بمشيئته -سبحانه وتعالى-، لا فرق في ذلك بين ما يحصل من فعله جل وعلا، ودليله قول الله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وما يحصل من أفعال مخلوقاته، ودليله قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فكل شيء يقع في السماوات أو في الأرض فإنه واقعٌ بمشيئته -تبارك وتعالى-.

المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق الله، وأن كل كائن مخلوق لله -عز وجل-، لا خالق غيره، ولا رب سواه. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧/ ٣٧٨، رقم ٢٢٧٠٥).

هذه المراتب الأربع هي مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيقها جميعًا. ومن المعلوم أن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، التي أجاب بها نبي الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جبريل حين سأله عن الإيمان، فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

***

(٢٤٩) يقول السائل ع. من جدة: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القضاء والقدر اسمان مترادفان إن تفرقا، أعني: أنهما إذا تفرقا فهما بمعنى واحد، وإن اجتمعا فالقضاء معناه: ما يقضي به الله، أي يحكم بوقوعه. والقدر معناه: ما كتبه الله تعالى في الأزل. وليُعلم أن القضاء ينقسم إلى قسمين:

١- **قضاء شرعي**: يتعلق بما أحبه الله ورضيه؛ مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا**﴾ [الإسراء: ٢٣].

٢- **قضاء كوني**: يتعلق بما قدره الله، سواء كان مما يرضاه، أم مما لا يرضاه. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٤].

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، التي بينها رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢). فحقيقته: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنْ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»(٣). فما قدره الله عليك لا بد أن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم (٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسند أحمد (٣٥/ ٤٦٥، رقم ٢١٥٨٩). وأبو داود: كتاب السنة، باب في القدر، رقم=

يقع مهما عملت من الأسباب، وما دفع الله عنك لا يمكن أن يقع مهما كانت الأسباب. ولهذا كان المؤمنون يقولون: «**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**»(١).

***

(٢٥٠) يقول السائل م. أ: ما حكم الإيمان بالقضاء والقدر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة، كما قال ذلك النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جوابًا لجبريل، عندما قال: أخبرني عن الإيمان. فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢). ولا يتم الإيمان بالقدر إلا إذا آمن الإنسان بأمورٍ أربعة:

الأول: الإيمان بعلم الله تعالى، وأنه -سبحانه وتعالى- محيطٌ بكل شيءٍ علمًا، ولا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى يوم القيامة. ودليل هذين الأمرين قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الثالث: أن تؤمن بأن كل ما في الكون فهو كائن بمشيئة الله، لا يخرج عن مشيئته شيء، حتى أفعال العباد قد شاءها الله -عز وجل-. قال الله تعالى:

=(٤٦٩٩). وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر، رقم (٧٧).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم (٥٩٣).

(٢) تقدم تخريجه.

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. وقال -تبارك وتعالى-: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

الرابع: أن تؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيءٍ في السماوات والأرض، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر: ٦٢]، حتى أعمال العبد مخلوقة لله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

ووجه كون فعل العبد مخلوقًا لله: أن فعل العبد واقعٌ بإرادة العبد وقدرة العبد، وإرادة العبد وقدرة العبد مخلوقتان لله -عز وجل-، وخالق السبب التام خالقٌ للمسبب، فإذا كان فعل الإنسان ناتجًا عن إرادةٍ وقدرة وهما مخلوقتان لله؛ صار فعل العبد مخلوقًا لله -عز وجل-. فلا بد في الإيمان بالقدر من الإيمان بهذه الأمور الأربعة: علم الله، وكتابة كل شيء كائن إلى يوم القيامة في لوحٍ محفوظ، ومشيئة الله، وخلق الله. وفي هذا يقول الناظم:

عِلْمٌ كِتابَةُ مَوْلانَا مَشِيئَتُهُ ... وَخَلْقُهُ وَهْوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينُ

***

(٢٥١) يقول السائل إ. أ. ح. من الرياض: ما حكم الإيمان بالقدر؟ وكيف يكون؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان بالقدر واجب، ومنزلته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة؛ لأن جبريل عليه السلام سأل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

والقدر هو: تقدير الله -تبارك وتعالى- في الأزل، أي تقديره -تبارك وتعالى- ما كان وما يكون، كما قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

فكل ما يقع في السماء والأرض من أفعال الله -كالمطر والنبات والحياة والموت- أو من أفعال العباد -كالاستقامة والانحراف- فإنه مكتوب في الأزل عند الله -تبارك وتعالى-. فيجب علينا أن نؤمن بذلك؛ أن الله كتب مقادير كل شيء إلى يوم القيامة، وأن هذا المكتوب شامل لما يفعله -تبارك وتعالى- هو بنفسه، وما يفعله عباده.

قال العلماء: وللإيمان بالقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: أن تؤمن بعلم الله تعالى الشامل العام للحاضر والمستقبل والماضي، وأن كل ذلك معلوم عند الله بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يضل الرب -عز وجل- ولا ينسى. فإن موسى -عليه الصلاة والسلام- لما سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١] أجاب قائلًا: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] -سبحانه وتعالى-.

فيجب أن نؤمن بعلم الله -عز وجل-، وأنه عالم بكل شيء جملة وتفصيلًا، فالجملة مثل قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]، والتفصيل مثل قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقوله تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧/ ٣٧٨، رقم ٢٢٧٠٥).

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والأمثلة على هذا كثيرة.

المرتبة الثانية: أن تؤمن بأن الله -تبارك وتعالى- كتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة، فكل شيءٍ مكتوبٌ عند الله في لوح محفوظ لا يتبدل ولا يتغير. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]. والحديث الذي ذكرناه آنفًا: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

المرتبة الثالثة: أن تؤمن بأنه ليس في الكون من حركةٍ ولا سكون ولا إيجاد ولا إعدام إلا بمشيئة الله، أي: إلا وقد شاءه الله، سواء كان من فعله -تبارك وتعالى- أم من أفعال خلقه. فحركات الإنسان وسكناته، وطوله وقصره، وبياضه وسواده، ورضاه وغضبه، واستقامته وانحرافه، كل ذلك بمشيئة الله، لا يشذ عن مشيئة الله شيء، حتى الهدى والصلاح بمشيئة الله.

ودليل ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال الله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. وأجمع المسلمون على هذه الكلمة العظيمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: أن تؤمن بأن الله -تبارك وتعالى- خالق كل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]. وقد ذكر الله تعالى

---

(١) تقدم تخريجه.

الخلق عامًّا كما في هاتين الآيتين، وذكره خاصًّا في مثل قوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٥-٦]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

فكل شيء سوى الله فهو مخلوق، خلقه الله -عز وجل-، سواء في الأعيان، أم في الأفعال، أم في الأوصاف. فالآدمي له جسد، مَن خَلَقه؟ إنه الله -عز وجل-، الآدمي طويل وقصير، وأبيض وأسود، مَن قدَّر هذا؟ إنه الله -عز وجل-، الآدمي له عمل وحركة، ويكون صالحًا أو غير صالح، فمَن خلق هذا العمل؟ هو الله -عز وجل-؛ لأن عمل الإنسان من صفات الإنسان، والإنسان مخلوق، فصفاته مخلوقة. ودليل ذلك ما ذكرته الآن: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

فيجب علينا أن نؤمن بالقدر على هذه المراتب الأربع: علم الله، وكتابته في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، ومشيئة الله لكل موجود ومعدوم وحركة وسكون، وخَلْقُ الله لكل موجود ومعدوم، وحركة وسكون. فالمعدوم يوجده الله، والموجود يعدمه الله. وقد اختلف بنو آدم في القدر، وتنازعوا فيه، واختلفوا فيه، فمنهم الغالي، ومنهم الجافي، ومنهم الوسط.

فالغالي في إثبات القدر يقول: إن الإنسان مجبور على عمله، وليس له فيه اختيار، إن عمل صالحًا فهو مُكرَهٌ عليه، وإن عمل سيئًا فهو مكره عليه، وإن قام أو قعد فهو مكره مُجبَر؛ لأن الله تعالى شاء ذلك، فيجب أن يكون.

والجافي فيه يقول: إن الله يشاء كل شيء، ويخلق كل شيء، إلا أفعال الإنسان، فليس له فيها تصرف. وهؤلاء قصروا في الربوبية.

والمتوسط فيه يقول: الإنسان يفعل باختياره، ويفرق بين الفعل الذي يكره عليه، والفعل الذي يختاره. وهذا هو الواقع؛ فأنت تخرج إلى السوق باختيارك، وترجع منه باختيارك، وتدخل المدرسة الفلانية باختيارك، وتتركها

باختيارك، وتسافر باختيارك، وتبقى في بلدك باختيارك. فهذا أمر لا ينكر، ولا يشعر أحدٌ أبدًا أنه أكره على هذا الفعل. ولهذا فإنه لو أكره حقيقةً سقط عنه الإثم، أو أكره على محرم، أو على تَرْك واجب. فالله قد أسقط حكم الكفر عند الإكراه، فقال: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦].

ولو قلنا: إن الإنسان مُكرَه. لبطلت الشريعة كلها، وصار لا يُحمد على فعل الخير، ولا يُذم على فعل الشر، فنحن نرد على هؤلاء القائلين بالجبر بهذا. أما الذين قالوا: إنه مستقل. فنقول: سبحان الله! الإنسان في ملك الله، فكيف يكون في ملك الله ما لا يريد؟ الإنسان مخلوق لله، فكيف تكون أفعاله غير مخلوقة لله؟ هي مخلوقة لله، وهي في ملك الله.

لكن قد يحتج العاصي بالقدر على المعصية، فإذا زنى، أو سرق، أو شرب الخمر قال: هذا بقدر الله. فنقول له: هل أجبرك الله على ذلك؟ هل تعلم أن الله قدر عليك أن تزني، أو تسرق، أو تشرب الخمر؟ أنت لا تعلم هذا، ونحن لا نعلم أن الله قدر أفعالنا أو أقوالنا حتى تقع، فإذا وقعت علمنا أنه أرادها، أما قبل أن تقع فليس عندنا علم بما قدر الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ ﴾ [لقمان: ٣٤].

فالعاصي حين أقدم على الفعل أقدم عليه باختياره، ولم يعلم أن الله قد كتبه له أو عليه إلا إذا وقع. ولهذا لا ترى مضروبا يعذر ضاربا عندما يسأله: لمَ ضربتني؟ فيقول: هذا بقدر الله. لا تجد أحدًا يقبل هذه الحجة. ويذكر عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه رُفع إليه سارق، فأمر بقطع يده، فقال له: مهلًا يا أمير المؤمنين، والله ما سرقت هذا إلا بقدر الله. قال: ونحن لا نقطع يدك إلا بقدر الله.

المهم أنه لا يمكن أن يحتجَّ الإنسان بالقدر على ظلم الناس وعدوانه

عليهم. وإنك لتعجب من هذا العاصي الذي يعصي الله، ومعصيته لله ظلم لنفسه، ثم يحتج بقدر الله على ظلم نفسه، مع أنه لو ظلمه ظالم، واحتج على ظلمه بأنه قدَر الله، ما قبل منه، لذلك لا عذر للعاصي بقدر الله على معصيته، ولهذا أبطل الله حُجة الذين احتجوا بالقدر فقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وكونهم يذوقون بأس الله يدل على أنه لا حُجة لهم؛ لأنه لو كان لهم حُجة ما ذاقوا بأس الله.

والحاصل أن الإنسان يجب عليه أن يؤمن بالقدر، وأن كل شيء هو من الله، وأنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله. ولما حدَّث النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أصحابه فقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»**. إذًا نحن مأمورون بالعمل، وإذا عملنا ما يرضي الله يَسَّر الله لنا، **ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

فنقول: آمِنْ بالقدر، واعمل بالشرع، حتى يتم إيمانك.

ومن الإيمان بالقدر: الإيمان بما جاء مكروهًا للعبد، كالمصائب في بدنه، وفي أهله، وفي ماله، وفي أصحابه، وفي مجتمعه. فلا يخلو إنسان من المصيبة؛ لأن الله تعالى يبتلي بالنعم، ويبتلي بالنقم. وهذه المصائب إذا حصلت فارضَ بها، وارضَ بقضاء الله، فإن الله -سبحانه وتعالى- أعلم بمصالحك.

فكم من إنسان أصيب بمصيبة فكانت المصيبة سببًا لاهتدائه، فالمصائب صقل للقلوب إذا أراد الله -سبحانه وتعالى- هداية الإنسان، كما أنها بالعكس

---

(١) تقدم تخريجه.

في أناس آخرين، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]. أي: إذا أُوذِيَ في دينه، وضُيِّق عليه في دينه، جعلها كالعذاب، فارتدَّ ونكص على عقبيه، والعياذ بالله.

المهم أن الإيمان بالقدر يُهَوِّن عليك المصائب؛ لأنك تعلم أنها من عند الله، وأن الله مالك كل شيء، وأنت من جملة من يملكه الله -عز وجل-، فأنت عبدٌ لله، يفعل بك ما شاء، فلا تجزع. قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]. قال علقمة في معنى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]. قال: «إنه يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم».

فلو أن رجلًا أصابك بأذى دافَعْتَ عن نفسك، ولم ترض بذلك، لكن إذا كان الذي أصابك من المصائب من عند الله فعليك أن ترضى؛ لأنه ربك مالكك، يفعل بك ما شاء، فإذا صبرتَ، واحتسبت الأجر من الله، صارت تلك المصيبة رِفعة في درجاتك، وأجرًا وثوابًا: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

***

(٢٥٢) يقول السائل أ. هـ. من دمياط، من جمهورية مصر العربية: ما الحكم الشرعي في سخط الإنسان من المصائب والكوارث؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن من أصول الإيمان أن يؤمن الإنسان بالقدر خيره وشره، وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأمر كله يرجع إلى الله -عز وجل-، وأن لله الحكمة البالغة فيما أصاب العبد من خير أو شر.

والمصائب على نوعين:

النوع الأول: أن تكون تكفيرًا لسيئات وقعت من المرء، وإصلاحًا لحاله، كما في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

النوع الثاني: ألَّا تكون المصائب عقوبة لسيئات وقعت من المرء، ولكنها لزيادة درجاته، وليحصل على وصف الصبر الذي أثنى الله على القائمين به، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: ١٠].

ومن ذلك ما يقع للرسول ﷺ من المصائب التي تصيبه -عليه الصلاة والسلام-، حتى إنه ليوعك كما يوعك الرجلان منا -أي: في المرض- من أجل أن ينال أعلى مقامات الصبر -صلوات الله وسلامه عليه-، وقد نال ذلك؛ فهو أعلى الناس صبرًا على طاعة الله، وأعلى الناس صبرًا عن محارم الله، وأعلى الناس صبرًا على أقدار الله المؤلمة.

وبناء على هذه المقدمة يجب على المرء أن يصبر على قضاء الله وقدره، وألَّا يسخط؛ لأن السخط من قضاء الله وقدره نقصٌ في الإيمان بربوبيته -تبارك وتعالى-؛ إذ مقتضى الربوبية المطلقة أن يفعل ما شاء.

وانظر إلى الكرم والفضل، فالله -عز وجل- يفعل في عبده ما يشاء، ومع ذلك يثيبه على ما حصل من هذه المصائب إذا صبر واحتسب. قال بعض أهل العلم: وللناس في المصائب مقامات أربعة: التسخط، والصبر، والرضا، والشكر.

١- **مقام التسخط**: وهو حرام، سواء كان في القلب، أم في اللسان، أم في الجوارح.

فالتسخط في القلب: أن يرى أن الله تعالى ظلمه في هذه المصيبة، وأنه ليس أهلًا لأن يصاب، وهذا على خطر عظيم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[الحج: ١١].

وأما التسخط بالقول: فهو أن يدعو بدعوى الجاهلية؛ مثل: واثبوراه، وانقطاع ظهراه. وما أشبه ذلك من الكلمات النابية، التي تنبئ عن سخط العبد، وعدم رضاه بقضاء الله.

وأما التسخط بالأفعال: فَكَنَتْفِ الشعور، ولطم الخدود، وشق الجيوب. وقد تبرأ النبي ﷺ من فاعل هذا فقال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»(١).

فهذا التسخط حرام، ومن كبائر الذنوب، والتسخط القلبي أعظم أنواعه، وأخطر أنواعه.

٢- **مقام الصبر**: وهو حبس النفس عن التسخط، وهو ثقيل على النفس، لكنه واجب؛ لأنه إذا لم يصبر تسخط، والتسخط من كبائر الذنوب، فيكون الصبر واجبًا. ولقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لابنته التي كان عندها طفل يجود بنفسه، وقد حضره الموت، فأرسلت إلى النبي ﷺ رسولًا تدعوه للحضور، فقال النبي ﷺ: «**فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»(٢).

٣- **مقام الرضا**: يعني: أن يرضى العبد بما قدر له من هذه المصيبة رضًا تامًّا. وقد اختلف العلماء في وجوبه، والصواب أنه ليس بواجب، ولكنه سنة؛ لأنه متضمن للصبر وزيادة، والفرق بين الصبر والرضا هو أن المرء يكون في الصبر كارهًا لما وقع، أي لا يحب أنه وقع، لكنه قد حبس نفسه عن التسخط.

وأما الراضي فهو غير كاره لما وقع، بل المصيبة وعدمها عنده سواء بالنسبة لفعل الله؛ لأنه راضٍ رضًا تامًّا عن فعل الله، فهو يقول: أنا عبده وهو ربي، إن فعل بي ما يسرني فأنا عبده، وله مني الشكر، وإن كانت الأخرى فأنا عبده، وله مني الرضا والصبر. فالأحوال عنده متساوية، وربما ينظر إلى ذلك

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، رقم (١٢٩٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم (١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، رقم (٦٦٠٢).

من منظار آخر، وهو أن هذه المصيبة إذا صبر عليها، وكفَّر اللهُ بها عنه، وأثابه عليها صارت ثوابًا لا عقابًا، فيتساوى عنده الألم والثواب.

وفي هذا يذكر عن رابعة العدوية -فيما أظن- أن أصبعها أصيبت، ولم تتأثر بشيء، فقيل لها في ذلك فقالت: «إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها».

٤- **مقام الشكر**: وهو أن يشكر الإنسان الله -عز وجل- على هذه المصيبة. وهذا المقام -أو الحال- لا يحصل للإنسان عند أول صدمة؛ لأن مقتضى الطبيعة ينافي ذلك، لكن بالتأمل والتأني قد يشكر الإنسان ربه على هذه المصيبة، وذلك بأن يرى مصيبة أعظم من مصيبته، فيشكر الله تعالى أن أصيب بهذه التي هي أهون، أو يقدر أن ألم المصيبة ألمٌ يزول بزوال الحياة إن بَقِي إلى الموت، أو يزول قبل الممات، والأجر والثواب الحاصل يبقى، فيشكر الله تعالى على ذلك.

مثاله: رجل أصيب بحادث في سيارة، فانكسرت رجله، فهذه مصيبة، فيتأمل وينظر ويقول: أرأيت لو كان الانكسار في الظهر لكانت المصيبة أعظم. فهو يشكر الله -عز وجل- أن كانت المصيبة في الفخذ دون الظهر، ولو كانت في الساق لكانت أهون مما إذا كانت في الفخذ، وهلم جرًّا. ثم يقول أيضًا: هذه مصيبة؛ إمَّا أن أشفى منها وأعود كما كنت في الدنيا قبل الموت، وإما أن أموت، فلها أجل محتوم مقدر، لكن الأجر الحاصل عليها هو ثواب الآخرة الباقي أبد الآبدين. فيشكر الله -عز وجل- على هذه المصيبة، التي كانت سببًا لما هو أبقى وأفضل وأخير.

إذًا فهمنا الآن أن لحال الإنسان عند المصائب أربعة مقامات:

الأول: التسخط: وهو حرام ومن كبائر الذنوب.

الثاني: الصبر: وهو واجب.

الثالث: الرضا: وهو سُنة مستحبة.

الرابع: الشكر: وهو أعلى المقامات.

***

(٢٥٣) يقول السائل: بعض المرضى يتذمَّر ويكثر من الشكوى، ويتسخَّط مما فيه من مرض، فما نصيحتكم لأمثال هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتي لإخواني -هؤلاء المرضى، ومن أصابتهم مصائب في أموالهم وأهليهم- أن يصبروا ويحتسبوا، ويعلموا أن هـذه المصائب ابتلاءٌ من الله -سبحانه وتعالى- واختبار، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وإذا كان الله تعالى يبتلي العبد بالنعم ليختبره أيشكر أم يكفر، فكذلك يبتلي عبده بما يضاد ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع ويتسخط. ويعين المرء على الصبر على هذه الأمور أشياء:

الأول: الإيمان بأن الله -سبحانه وتعالى- رب كل شيء ومليكه، وأن الخلق كلهم خلقه وعبيده، يتصرف فيهم كيف يشاء، لحكمةٍ قد نعلمها وقد لا نعلمها، فلا اعتراض عليه -سبحانه وتعالى- فيما فعل في ملكه، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

الثاني: أن يؤمن بأن هذه المصائب التي تصيبه تكفير لسيئاته، تحط عنه الخطايا، ويغفر له بها الذنوب، كما جاء ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-. ولقد أصيبت امرأةٌ من العابدات في أصبعها، ولكنها لم تتسخط، ولم يظهر عليها أثر التشكي، فقيل لها في ذلك، فقالت: «إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها». ومن المعلوم أن الصبر درجة عالية، لا تنال إلا بوجود شيء يصبر الإنسان عليه؛ حتى يكون من الصابرين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

الثالث: أن يتسلى بما يصيب الناس سواه، فإنه ليس وحده الذي يصاب

بهذه المصائب، بل مِن الناس مَن يصاب بأكثر من مصيبته. ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله سلم، وهو أشرف الخلق عند الله- يصاب بالمصائب العظيمة، حتى إنه يوعك كما يوعك الرجلان منا، ومع ذلك يصبر ويحتسب. وفي التسلي بالغير تهوينٌ عن المصاعب.

الرابع: أن يحتسب الأجر على الله -عز وجل- بالصبر على هذه المصيبة، فإنه إذا احتسب الأجر على الله -عز وجل- بالصبر على هذه المصيبة فإنه -مع تكفير السيئات به- يرفع الله له بذلك الدرجات، بناءً على احتسابه الأجر على الله -سبحانه وتعالى-.

ومن المعلوم أن كثيرًا من الناس منغمرٌ في سيئاته، فإذا جاءت مثل هذه المصائب، كالمرض، أو فقدان الأهل، أو المال، أو الأصدقاء، أو ما أشبه ذلك، هان عليه الشيء بالنظر إلى ما له من الأجر والثواب على الصبر عليه، واحتساب الأجر من الله، وكلما عظم المصاب كثر الثواب.

الخامس: أن يعلم الإنسان أن هذه المصائب من الأمراض وغيرها لن تدوم، فإن دوام الحال من المحال، بل ستزول، إنْ عاجلًا أو آجلًا، لكن كلَّما امتدت ازداد الأجر والثواب. وينبغي في هذه الحال أن نتذكر قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، وأن نتذكر قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبْرِ، وأَنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأَنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا**»[1].

السادس: أن يكون لديه أمل قوي في زوال هذه المصيبة، فإنَّ فتح الآمال يوجب نشاط النفس، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب، فالإنسان كلما مضى عليه ساعة، ورأى أنه أقرب إلى الفرج وإلى زوال هذه المصائب، كان في ذلك منشطًا لنفسه حتى ينسى ما حلَّ به.

---

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣). وأحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤)، والضياء (١٠/ ٢٣، رقم ١٣).

ولا شك أن الإنسان الذي ينسى ما حل به، أو يتناساه، لا يحس به، فإن هذا أمرٌ مشاهد، إذا غفل الإنسان عما في نفسه من مرضٍ أو جرح أو غيره يجد نفسه نشيطة، وينسى ما به من ألم، ولا يحس به، بخلاف ما إذا ركز شعوره على هذا المرض، أو على هذا الألم، فإنه سوف يزداد.

وأضرب لذلك مثلًا بالعمال؛ فإنك تجد العامل في حال عمله ربما يسقط عليه حجرٌ يجرح قدمه، أو تصيبه زجاجة تجرح يده، أو ما أشبه ذلك، وهو مستمرٌّ في عمله، ولا يحس بما أصابه، لكن إذا فرغ من عمله، ثم توجهت نفسه إلى هذا الذي أصابه، حينئذٍ يحس به.

ولهذا لما شُكي إلى الرسول ﷺ الوساوس التي يجدها الإنسان في نفسه قال -عليه الصلاة والسلام-: «فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ»[1]. يعني: ليعرض عن هذا، ويتغافل عنه، فإنه يزول، وهذا شيء مشاهد ومجرب. ففي هذه الأمور الستة يحصل للمريض الطمأنينة والخير الكثير.

السابع: أن يؤمن بأن الجزع والتسخط لا يزيل الشيء، بل يزيده شدة وحسرة في القلب، كما أنه ألمٌ في الجسد.

وبهذه المناسبة أود أن أُبين أن الناس تجاه المصائب التي تقع بهم ينقسمون إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: مَن جزع وتسخط ولم يصبر، بل دعا بالويل والثبور، وشق الجيوب، ولطم الخدود، ونتف الشعور، وصار قلبه مملوءًا غيظًا على ربه -عز وجل-، فهذا خاسرٌ في الدنيا والآخرة؛ لأن فعله هذا حرام، والألم لا يزول به، فيكون بذلك خسر الدنيا والآخرة، وربما يؤدي ذلك إلى الكفر بالله -عز وجل-، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٦)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٤).

فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

القسم الثاني: مَن صبر، بمعنى أنه لا يحب أن تقع المصيبة، بل يكرهها ويحزن لها، لكنه يصبر، فيمنع قلبه عن التسخط، ولسانه عن الكلام، وجوارحه عن الفِعال، ولكنه يتجرع مرارة الصبر، ولم يحب وقوع ذلك، فهذا أتى بالواجب، وسلم ونجا.

القسم الثالث: من قابل هذه المصيبة بالرضا، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب، حتى كأنه لم يصب بها؛ لقوة رضاه بالله -عز وجل-. والفرق بينه وبين الأول الذي قبله: أن الأول عنده كراهة لما وقع، ويتجرع مرارة الصبر عليه، أما هذا فلا، ليس عنده كراهة، ولا في نفسه مرارة، يقول: أنا عبد والرب رب، ولم يقدر لي هذا إلا لحكمة. فيرضى تمامًا.

وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في هذا الرضا: هل هو واجب أم مستحب؟ والصحيح أنه مستحب؛ لأنه صبرٌ وزيادة، والصبر سبق أنه واجب، وأما ما زاد على الصبر فإنه مستحب، فالراضي أكمل من الصابر.

القسم الرابع: من شكر الله -عز وجل- على ما حصل، فهو يشكر الله -سبحانه وتعالى- على هذه المصيبة. ولكن قد يقول قائل: إن هذا أمرٌ لا يمكن -بحسب الفطرة والطبيعة- أن يشكر الإنسان ربه على مصيبة تقع عليه. فيقال: نعم، لو نظرنا إلى مطلق المصيبة لكانت الفطرة تأبى أن يشكر الله على ذلك، ولكن إذا نظر الإنسان إلى ما يترتب على هذه المصيبة؛ من مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، ورفعة الدرجات، شكر الله -سبحانه وتعالى- أن ادخر له من الأجر والثواب خيرًا مما جرى عليه من هذه المصيبة، فيكون بذلك شاكرًا لله -سبحانه وتعالى-.

وقد كان من هدي النبي ﷺ أنه إذا أصابه ما يسره قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ**

الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ». وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»**[(١)]. وهذا هو الذي ينبغي أن يقوله الإنسان.

أما ما اشتهر على لسان كثيرٍ من الناس؛ حيث يقول إذا أصيب بمصيبة: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروهٍ سواه. فهي عبارةٌ بشعة، ولا ينبغي للإنسان أن يقولها؛ لأن هذا يعلن إعلانًا صريحًا بأنه كارهٌ لما قدَّر الله عليه، وفيه شيء من التسخط، وإن كان غير صريح، ولهذا نقول: ينبغي لك أن تقول ما كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول، وهو: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»**.

وفي النهاية أوصي إخواني المرضى، ومن أصيبوا بمصيبة، أن يصبروا على ذلك، وأن يحتسبوا الأجر من الله -عز وجل-، والله تعالى مع الصابرين، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

***

(٢٥٤) تقول السائلة من حفر الباطن: هل يجوز للمسلم أن يتمنى الموت بعد أن يصطدم بأشياء وأمور لا تجوز في هذه الدنيا الفانية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يجوز هذا، لا يجوز للإنسان أن يتمنى الموت لضرٍّ نزل به، بل الواجب عليه أن يصبر ويحتسب ويكابد، ويستعين بالله -عز وجل- في درء هذه المحظورات، أو المحرمات، بنصح إخوانه وإرشادهم.

ولعل بقاءه من أجل النصح والإرشاد والدعوة إلى الله خيرٌ من أن يموت وينقطع عمله، فإن الإنسان إذا مات انقطع عمله، وإذا بقي في الدنيا وهو مؤمن فإن أمره كله خير، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم (٣٨٠٣).

(٢) تقدم تخريجه.

وعلى الإنسان أن يصبر ويحتسب، ويرضى بقضاء الله -سبحانه وتعالى-، ويعلم أن دوام الحال من المحال، وأن الأمور لا بد أن تنفرج، كما قال رسول الله ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا**»(١).

***

(٢٥٥) تقول السائلة: واجهت في حياتي عدة مشكلات جعلتني أكره الحياة، فكنت كلما تضجرت توجهت إلى الله تعالى بأن يأخذ عمري في أقرب وقت، وهذه أمنيتي حتى الآن؛ لأنني لم أر حلًّا لمشكلاتي سوى الموت، فهو وحده الذي سيخلصني من هذا العذاب، فهل هذا حرام عليَّ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن تمني الإنسان الموت لضر نزل به وقوع فيما نهى عنه رسول الله ﷺ حيث قال -عليه الصلاة والسلام-: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»(٢). فلا يحل لأحد نزل به ضر، أو ضائقة، أو مشكلة، أن يتمنى الموت، بل عليه أن يصبر، ويحتسب الأجر من الله -سبحانه وتعالى-، وينتظر الفرج منه؛ لقول النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا**»(٣).

وليعلم المصاب بأي مصيبة أن هذه المصائب كفارة لما حصل له من

---

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣). وأحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤)، والضياء (١٠/ ٢٣، رقم ١٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة، رقم (٦٣٥١). أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، رقم (٢٦٨٠).

(٣) أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣). وأحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤)، والضياء (١٠/ ٢٣، رقم ١٣).

الذنوب، فإنه لا يصيب المرء المؤمن هم ولا غم ولا أذى إلا كفر الله به عنه، حتى الشوكة يشاكها.

ومع الصبر والاحتساب ينال منزلة الصابرين، تلك المنزلة العالية التي قال الله تعالى في أهلها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦]. وكون هذه المرأة لا ترى حلًّا لمشكلاتها إلا بالموت فذلك رأي مخطئ، فإن الموت لا تنحل به المشكلات، بل ربما تزداد به المصائب، فكم من إنسان مات وهو مصاب بالمشكلات والأذايا، ولكنه كان مسرفًا على نفسه، لم يستعتب من ذنبه، ولم يتب إلى الله -عز وجل-، فكان في موته إسراع لعقوبته، ولو أنه بقي على الحياة، ووفقه الله تعالى للتوبة والاستغفار، والصبر وتحمل المشاق وانتظار الفرج، لَكان في ذلك خيرٌ كثير له.

فعليكِ -أيتها السائلة- أن تصبري وتحتسبي، وتنتظري الفرج من الله -عز وجل-، فإن الله -سبحانه وتعالى- يقول في كتابه: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]. والنبي ﷺ يقول فيما صح عنه: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا**»[1]. والله المستعان.

***

(٢٥٦) يقول السائل ن. خ. أ. من الخرج: هل الإنسان مسير أم مخير؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لو أردت أن أقول لهذا السائل: هل أنت مسير حين ألقيت هذا السؤال، أو ألقيته باختيارك؟ أعلم أنه سيقول: ألقيته باختياري. إذًا فالإنسان يفعل ما يفعله باختياره لا شك؛ فالإنسان يذهب ويرجع، ويصلي ويتوضأ، ويصوم ويزكي ويحج، ويبيع ويشتري، ويتزوج ويُزوج، وكل ذلك باختياره، لا أحد يجبره على ذلك، ولهذا تجده يختار أحد شيئين على الآخر؛ فقد يختار مثلًا أن يدرس في كلية الشريعة، ولا يدرس في

---

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣). وأحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤)، والضياء (١٠/ ٢٣، رقم ١٣).

كلية الهندسة، والجامعة واحدة، فمن الذي أجبره على هذا؟ هل أجبره أحد؟ لا، فذلك باختياره في الواقع.

ولولا أن فعل الإنسان باختياره لكانت عقوبته على الذنوب ظلمًا، والله -سبحانه وتعالى- منزه عن الظلم، وما أكثر الآيات التي يضيف فيها الله تعالى الأعمال إلى الإنسان؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. والآيات في هذا كثيرة.

والعقل شاهد بهذا، ولا يمكن أن تستقيم قدم عاقل على القول بأن الإنسان مجبر أبدًا؛ لأن هذا يكذبه الحس فضلًا عن الشرع. ولكن يبقى النظر: هل هذا الاختيار مستقل عن إرادة الله؟ والجواب: لا، إنك ما أردت شيئًا إلا علمنا بأن الله قد أراده من قبل؛ لقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

فإذا أراد الإنسان أن يأكل فأكل علمنا أن الله تعالى قد أراد قبل إرادته أن يريد الأكل فيأكل، وإذا أراد الإنسان أن يبيع ويشتري فاشترى وباع علمنا أن الله تعالى قد أراد ذلك، أي: أراد منه أن يريد أن يبيع ويشتري، وهلم جرًّا.

فإرادة الله سابقة، وإرادة المخلوق هي اللاحقة المباشرة، ونحن لا نعلم أن الله قد أراد بنا شيئًا إلا حين يقع، ولهذا لا يكون في هذا القول الذي قلته الآن حجة على العاصي الذي يعصي الله ويقول: إن الله قد أراد ذلك. لأننا نقول له: ما الذي أعلمك أن الله أراد؟ أنت لا يمكن أن تعلم أن الله أراد إلا إذا فعلت، وفعلك واقع باختيارك لا شك.

ولهذا لم نجد هذه الكلمة «مسير» أو «مخير» في كلام السابقين الأولين أبدًا، لكن قالها بعض المحدثين، فانتشرت بين الناس؛ لأنها كلمة رنانة، وإلا

فمن المعلوم أن الإنسان مخير، قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. وكفر الإنسان باختياره، وإيمانه باختياره، وليس معنى بالاختيار أنك إن شئت فآمِن وإن شئت فاكفر، لا، المعنى: أن وقوع الكفر باختيارك، ووقوع الإيمان باختيارك.

وعلى هذا نقول: الإنسان مخير. بمعنى: أنه يفعل الشيء باختياره، لكننا نعلم أنه إذا اختار شيئًا وفعَلَه فهو بإرادة الله السابقة عليه. وهناك أشياء ليست باختيار الإنسان، فلو سافر الإنسان -مثلًا- وأصابه حادث، فهذا بغير اختياره، ولو أن الإنسان عَمِل عملًا ناسيًا فهذا بغير اختياره، ولهذا لا يؤاخذ الله على النسيان، ولا على الخطأ، ولا على فعل النائم؛ لأنه غير مختار.

***

(٢٥٧) يقول السائل ع. أ. أ. من الجزائر: كان بيني وبين صديق لي نقاش حول مسألة: هل الإنسان مخير أم مسير؟ ولكن لم نصل إلى إجابة شافية، فأفيدونا في ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإفادة في ذلك أن نقول للإنسان: ارجع إلى نفسك، ولا تسأل أحدًا غيرك: هل تفعل ما تفعله مكرهًا عليه، أم تفعل ما تفعله باختيارك؟ وإذا توضأت في بيتك، وخرجت إلى الصلاة، وصليت مع الجماعة، هل أنت مكره على هذا أم فعلته باختيارك؟ وإذا خرجتَ إلى سوقك، وفتحتَ متجرك، وبعتَ واشتريت، هل أنت مجبر على ذلك أم أنك تفعله باختيارك؟ وإذا أردت أن تدرس في مدرسة معينة ابتدائية، أو متوسطة، أو ثانوية، أو جامعية، أو في الدراسات العليا، هل تفعل ذلك باختيارك أم تفعله مجبرًا على هذا؟

إني أتعجب أن يَرِد هذا السؤال من شخص يعلم ما في نفسه، ويعلم تصرفه، ثم يقول: هل هو مسير أم مخير؟ كلٌّ يعلم الفرق بين ما يفعله الإنسان باختياره وإرادته وطوعه، وبين ما يكره عليه. والمكره على الفعل لا ينسب إليه

الفعل، ولا يلحقه به إثم، كما قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦].

فلو كان الإنسان مكرهًا على عمله لكانت عقوبة العاصي ظلمًا؛ لأنه يقول: يا رب أنا مكره ليس لي اختيار. ولو كان الإنسان مجبرًا على عمله لكانت كتابة حسناته عبثًا؛ لأنه يثاب على شيء ليس من فعله، ولا من اختياره.

فعلى أخي السائل وغيره من المسلمين أن يفكروا في هذا الأمر، وأن يعلموا أنهم غير مجبرين على الفعل، بل هم يفعلون الشيء باختيارهم، من غير أن يكرهوا عليه. ولكن فليعلم أن ما يقع منا مِن فعل فإنه بقضاء وقدر سابق من الله -عز وجل-، وبمشيئة الله -سبحانه وتعالى- واقع، فالقدر قدر الله ومشيئته، لا يُعلَم تحققهما إلا بعد فعل العبد.

وقد ذكر علماء أهل السنة أن للقدر مراتب:

أولها: العلم: أن تؤمن بأن الله -سبحانه وتعالى- عالم بكل شي جملة وتفصيلًا أزلًا وأبدًا، فلا يضل ربي ولا ينسى، ولا يخفى عليه شي في الأرض ولا في السماء.

ثانيها: الكتابة: أن تؤمن بأن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى يوم القيامة.

ثالثها: المشيئة: أن تؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما من شيء واقع في السماء والأرض إلا بمشيئة الله -سبحانه وتعالى-.

رابعها: الخلق: أن تؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا وقد خلقه الله جل وعلا.

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، التي أجاب بها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- جبريل حين سأله عن الإيمان، فقال النبي

-صلى الله عليه وآله وسلم-: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1].

***

(٢٥٨) يقول السائل من السودان: ورد لفظ الهدى في القرآن الكريم كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. والسؤال: هل الإنسان مخير أم مسير؟ وهل للإنسان إرادة أن يكون طيبًا أو خبيثًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال مهم جدًّا؛ وذلك لأنه سأل عن الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. وسأل: هل الإنسان مخير أم مسير؟ وهل له إرادة أن يفعل، أو لا يفعل؟

والجواب على الأول: أن الهداية المذكورة في القرآن تنقسم إلى قسمين:

١ - هداية دلالة وبيان:

هي مثل الآية التي ساقها السائل، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. يعني: إنا بينا للإنسان السبيل والطريق، سواءٌ كان شاكرًا أم كان كفورًا، فالكل بين له الحق، لكن من الناس من منَّ الله عليه، فشكر والتزم بالحق، ومن الناس من كان على خلاف ذلك.

ومن أمثلة الهداية التي يراد بها الدلالة قوله -تبارك وتعالى- عن نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، أي: لتدل إلى الصراط المستقيم؛ لأن النبي ﷺ قد بيَّن وعلَّم أمته الصراط المستقيم، وترك أمته على محجةٍ بيضاء، ليلُها كنهارها.

٢ - هداية توفيق وإرشاد:

من أمثلتها قوله -تبارك وتعالى- لنبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم (٨).

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]. فالمراد بهذه الهداية هداية التوفيق، فالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يملك أن يهدي أحدًا هداية توفيق، يوفقه بها إلى الإيمان والعمل الصالح. وهذه الآية نزلت في شأن أبي طالب عم النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذي دعاه النبي ﷺ إلى الهدى، ولكنه لم يوفق لذلك، فأنزل الله هذه الآية تسليةً لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

وقد يراد بالهداية الهدايتان جميعًا، أي: هداية العلم والبيان، وهداية التوفيق والإرشاد، ومن ذلك قوله -تبارك وتعالى- في سورة الفاتحة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]. فإن هذه الآية تشمل هداية العلم والبيان، وهداية التوفيق والإرشاد. والقارئ إذا قال: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] يريد بذلك المعنيين جميعًا؛ يريد أن يعلمه الله -عز وجل-، ويريد أن يوفقه الله تعالى لسلوك الحق. هذا هو الجواب عن الجزء الأول في سؤاله.

أما الجزء الثاني، وهو: هل الإنسان مسير أم مخير؟ وهل له إرادة أم ليس له إرادة؟ فنقول: الإنسان مخير، إن شاء آمن، وإن شاء كفر. بمعنى: أن له الاختيار، وإن لم يكن سواء؛ فلا يستوي الكفر والإيمان، لكن له اختيار أن يختار الإيمان، أو أن يختار الكفر، وهذا أمرٌ مشاهدٌ معلوم؛ فليس هناك أحدٌ أجبر الكافر على أن يكفر، وليس هناك أحدٌ أجبر المؤمن على أن يؤمن، بل الكافر كفر باختياره، والمؤمن آمن باختياره.

كما أن الإنسان يخرج من بيته باختياره، ويرجع إليه باختياره، ويدخل المدرسة الفلانية باختياره، ويدخل الجامعة الفلانية باختياره، ويسافر باختياره إلى مكة، أو إلى المدينة أو ما أشبه ذلك. وهذا أمرٌ لا إشكال فيه، ولا جدال فيه، ولا يمكن أن يجادل فيه إلا مكابر.

هناك أشياء لا يمكن أن تكون باختيار الإنسان؛ كالحوادث التي تحدث

للإنسان: من انقلاب سيارة، أو صدام، أو سقوط بيتٍ عليه، أو احتراق، أو ما أشبه هذا. هذا لا شك أنه لا اختيار للإنسان فيه، بل هو قضاءٌ وقدر ممن له الأمر.

ولهذا عاقب الله -سبحانه وتعالى- الكافرين على كفرهم؛ لأنهم كفروا باختيارهم، ولو كان بغير اختيارٍ منهم ما عوقبوا. ألا ترى أن الإنسان إذا أكره على الفعل ولو كان كفرًا، أو على القول ولو كان كفرًا، فإنه لا يعاقب عليه؛ لأنه بغير اختيارٍ منه؟ ألا ترى أن النائم قد يتكلم وهو نائم بالكفر، وقد يرى نفسه ساجدًا لصنم وهو نائم ولا يؤاخذ بهذا؛ لأن ذلك بغير اختياره؟ فالشيء الذي لا اختيار للإنسان فيه لا يعاقب عليه، فإذا عاقب الله الإنسان على فعله السيئ دلَّ ذلك على أنه عُوقب بحقٍّ وعدل؛ لأنه فعل السيئ باختياره.

وأما توهم بعض الناس أن الإنسان مسير لا مخير؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- قد قضى ما أراد في علمه الأزلي بأن هذا الإنسان من أهل الشقاء، وهذا الإنسان من أهل السعادة، فإن هذا لا حجة فيه؛ وذلك لأن الإنسان ليس عنده علمٌ بما قدَّر الله -سبحانه وتعالى-؛ إذ إن هذا سرٌّ مكتوم لا يعلمه الخلق، فلا تعلم نفسٌ ماذا تكسب غدًا، وهو حين يقدم على المخالفة بترك الواجب، أو فعل المحرم، يقدم على غير أساس، وعلى غير علم؛ لأنه لا يعلم ماذا كتب عليه إلا إذا وقع منه فعلًا، فالإنسان الذي يصلي لا يعلم أن الله كتب له أن يصلي إلا إذا صلى، والإنسان السارق لا يعلم أن الله كتب عليه أن يسرق إلا إذا سرق، وهو لم يُجبَر على السرقة، ولم يُجبَر المصلي على الصلاة، بل صلى باختياره، والسارق سرق باختياره.

ولما حدَّث النبي ﷺ أصحابه بأنه «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»[1]. فأمر بالعمل، والعمل اختياري وليس اضطراريًّا ولا إجباريًّا،

---

(١) تقدم تخريجه.

فإذا كان يقول -عليه الصلاة والسلام-: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**». نقول للإنسان: اعمل يا أخي صالحًا حتى يتبين أنك ميسر لعمل أهل السعادة، وكلٌّ بلا شك إن شاء عمل عملًا صالحًا، وإن شاء عمل عملًا سيئًا.

ولا يجوز للإنسان أن يحتج بالقدر على الشرع، فيعصي الله ويقول: هذا أمرٌ مكتوب عليَّ. ويترك الصلاة مع الجماعة ويقول: هذا أمر مكتوب عليَّ. ويشرب الخمر ويقول: هذا أمر مكتوب عليَّ. ويطلق نظره في النساء الأجنبيات ويقول: هذا أمرٌ مكتوبٌ عليَّ. ما الذي أعلمك أنه مكتوبٌ عليك فعملته أنت؟ لم تعلم أنه كتب إلا بعد أن تعمل، لماذا لم تقدر أن الله كتبك من أهل السعادة فتعمل بعمل أهل السعادة؟

وأما قول السائل: هل للإنسان إرادة؟ نقول: نعم له إرادة بلا شك، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. والآيات في هذا معروفة، وكذلك الأحاديث معروفة في أن الإنسان يعمل باختيار وإرادة.

ولهذا إذا وقع العمل الذي فيه المخالفة من غير إرادة ولا اختيار عُفِي عنه، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فقال الله: قد فعلت. وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وهذا أمرٌ -ولله الحمد- ظاهر، ولا إشكال فيه، إلا على سبيل المنازعة والمخاصمة، والمنازعة والمخاصمة منهيٌّ عنهما إذا لم يكن المقصود بذلك الوصول إلى الحق.

وقد خرج النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ذات يوم على أصحابه، وهم يتنازعون في القدر، فتأثر من ذلك -عليه الصلاة والسلام-؛

لأن هذا النزاع لا يؤدي إلى شيء إلا إلى الخصومة والتطاول في الكلام، وغير ذلك، فالأمر واضح ولله الحمد.

***

(٢٥٩) يقول السائل وهو طالب في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: وقع بيني وبين أخي خلافٌ عقائدي؛ حيث قلت له: إن الإنسان مسير، وليس مخيرًا. فقال: هذا ليس بصحيح، بل الإنسان مسير ومخير أيضًا. وطال الجدال، فما القول الفصل في هذه المسألة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القول الفصل في هذه المسألة أن الإنسان مخير، وأن له اختيارًا كما يريد، كما قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٥]. وقال -عز وجل-: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير: ٢٨]. وهذا أمرٌ معلوم بالضرورة؛ فأنت الآن عندما قدمت لنا هذا الكتاب هل قدمته على وجه الإكراه، أو تشعر بأن أحدًا أكرهك على تقديمه، أو أنك قدمته على سبيل الاختيار، فأخذت الورقة وكتبت، وأرسلت الخطاب، أو أرسلت الكتاب؟ لا شك في أن هذا هو الواقع. ولكننا نقول: كل ما نقوم به من الأفعال فإنه مكتوبٌ عند الله -عز وجل-، ومعلومٌ عنده.

أما بالنسبة لنا فإننا لا نعلم ما كتب عند الله إلا بعد أن يقع، ولكننا مأمورون بأن نسعى إلى فعل الخير، وأن نهرب من فعل الشر، وليس في هذا إشكالٌ أبدًا؛ فنحن نجد الطلبة يتجهون إلى الكلية مثلًا أو إلى الجامعة، فمنهم من يختار كلية الشريعة، ومنهم من يختار كلية أصول الدين، ومنهم من يختار كلية السُّنة، ومنهم من يختار كلية اللغة، ومنهم من يختار كلية الطب. المهم أن كلًّا منهم يختار شيئًا، ولا يرى أن أحدًا يكرهه على هذا الاختيار.

فكيف نقول: مسير ومخير؟ لو كان الإنسان مجبرًا على عمله لفاتت الحكمة من الشرائع، ولكان تعذيب الإنسان على معصيته ظلمًا، والله -عز

وجل- منزهٌ عن الظلم بلا شك، فالإنسان يفعل باختياره بلا شك، لكن إذا فعل فإنه يجب عليه أن يؤمن بأن هذا الشيء مقدَّر عليه من قبل، لكنه لم يعلم بأنه مقدر إلا بعد وقوعه.

ولهذا لما قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»**. فأثبت لهم عملًا مرادًا بقوله: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**». أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، **ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

فالصواب مع أخيك أن الإنسان مسيرٌ ومخير، ومعنى مخير: أن له الاختيار فيما يفعل ويذر، لكن هذا الذي اختاره أمرٌ مكتوبٌ عند الله، وهو لا يعلم ما كتبه الله عليه إلا بعد أن يقع، فيعرف أن هذا مكتوب، وإذا ترك الشيء علم أنه ليس بمكتوب.

***

(٢٦٠) يقول السائل م. من مكة المكرمة: هل الإنسان مسير أم مخير؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول له: اسأل نفسك: هل أنت حينما كتبت هذه الورقة، وفيها السؤال، هل فعلتَ ذلك باختيارك، أم أن أحدًا أجبرك؟ إنني أجزم جزمًا أنه سيقول: كتبتها باختياري. ولكن ليعلم أن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي خلق في الإنسان الإرادة، الله تعالى خلق الإنسان، وأودع فيه أمرين، كلاهما سبب الوجود:

الأمر الأول: الإرادة: فالله تعالى جعل الإنسان مريدًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

الأمر الثاني: القدرة: فالله جعله قادرًا. فإذا فعل شيئًا فإنما يفعله بإرادته وقدرته، والذي خلق فيه الإرادة هو الله -عز وجل-، وكذلك الذي خلق فيه القدرة هو الله -عز وجل-.

وهذه الكلمة: «مخير» أو «مسير». هي كلمة حادثة لا أعلمها في كلام السابقين، وعلى هذا فنقول: إن الإنسان مخير يفعل الشيء باختياره وإرادته، ولكن هذا الاختيار والإرادة كلاهما مخلوقان لله -عز وجل-.

***

(٢٦١) تقول مجموعة من الطالبات بالمدرسة الثانوية بجدة: هل يؤاخذ الإنسان ويعاقب على الأخطاء والمعاصي، وقد قدرها الله -عز وجل- عليه في اللوح المحفوظ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، المعاصي يعاقب عليها الإنسان، إلا إذا كانت دون الشرك، فإنها داخلةٌ تحت مشيئة الله -عز وجل-. وهذه المعاصي لا شك أنها واقعة بعلم الله ومشيئة الله، وأنها مكتوبة على العبد في اللوح المحفوظ، ومكتوبة على العبد وهو في بطن أمه، ولكن هذه الكتابة ليست معلومة حتى يبني الإنسان عمله عليها، لو كان يعلمها فبنى عمله عليها لقلنا: إن له حجة. لكنه لم يعلمها، فمَن يعلم أن الله تعالى قدر له أن يعصي الله وهو لم يعصه حتى الآن؟ قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

ولهذا يكون إقدام العاصي على المعصية إقدامًا بلا علمٍ أن الله قدرها عليه حتى تقع منه، والحجة لا تكون حجة حتى تكون سابقةً على العمل الذي احتج بها عليه. ولهذا قال بعض العلماء: إن القدر سرٌ مكتوم، لا يعلم حتى يقع. وهذا صحيح؛ فمن يعلم أن الله قدر أن ينزل المطر غدًا، حتى ينزل غدًا فنعلم أن الله قدره؟ من يعلم أن فلانًا يعصي الله غدًا، حتى يعصي اللهَ هذا الرجل فنعلم أن الله قدره؟

ولهذا لا حجة للإنسان العاصي بقدر الله على شرع الله، فالشرع لا يحتج عليه بالقدر أبدًا، ولهذا قال الله تعالى مبطلًا دعوى القدر: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. ولو كانت الحجة صحيحة لم يستحقوا أن يذوقوا بأس الله.

وقال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥]. ولو كان القدر حجة لم يرفعها إرسال الرسل.

ولما أخبر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ». ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

فنحن نقول للإنسان: القدر علمه عند الله -عز وجل-، وهو سرٌّ مكتوم، وأنت مأمورٌ بأن تعمل العمل الصالح، وأن تتجنب العمل السيئ، فقم بما أمرت به؛ اعمل عملًا صالحًا، واجتنب العمل السيئ، وهذا هو المطلوب منك، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

***

(٢٦٢) يقول السائل: هل يكتب الله -عز وجل- طريقة الموت على الإنسان، إذا كان بمرض أو بحادث؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، يكتب الله ذلك كله، وما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا وهو مكتوب عند الله، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ

---

(١) تقدم تخريجه.

مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وكل شيءٍ مكتوبٌ عند الله -عز وجل-، حتى الشوكة تصيب الإنسان هي مكتوبة عند الله.

***

(٢٦٣) يقول السائل ع. م. ع. من أريتيريا: دخلتُ في عدة طرق من الطرق المتعددة، وخرجتُ منها، فهل ما ضاع من عمري في هذه الفترة، والسيئات التي وقعت فيها، محسوبة عليَّ أم تُنفَى عني بتوبتي؟ وهل كل ما حصل لي في هذه الطرق الباطلة قبل هذا كان مكتوبًا عليَّ منذ الأزل، وكان الله عالمًا به؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة عن هذا السؤال أحب أن أهنئ الأخ الذي منَّ الله عليه بالاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، بعد أن كان منحرفًا في متاهات البدع والضلال، فإن هذا من نعم الله، بل هو أكبر نعمة ينعم الله بها على العبد؛ أن يتوب الله عليه فيتوب إلى ربه، ويقلع عن غيه إلى رشده، يقول الله -عز وجل- ممتنًّا على المؤمنين بمثل ذلك: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣]. ويقول تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ويقول جل وعلا: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧].

فالهداية للإيمان من أكبر النعم، بل هي أكبر نعمة أنعم الله بها على العبد، فأسأل الله أن يثبتني وإخواني المسلمين على دينه المستقيم، إنه جواد كريم.

أما بالنسبة للجواب عن سؤاله فإني أقول له: إذا تاب الإنسان من أي ذنبٍ كان فإن الله يتوب عليه، ويمحو عنه سيئاته؛ لأن الإسلام يهدم ما قبله،

والتوبة تجُب ما قبلها. قال الله -عز وجل-: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

والنصوص في هذا كثيرة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ كلها تدل على أن الله إذا منَّ على العبد بالتوبة النصوح فإن الله يتوب عليه، ويبدل سيئاته حسناتٍ، إذا تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا. فكل ما جرى عليك من اعتناق الطرق والمذاهب الهدامة والزيغ والضلال فإنه يُمحى برجوعك إلى الحق.

وأما الفقرة الثانية في السؤال، وهي: أن هذا الذي عمله هل كان مكتوبًا عليه في الأزل، وبعلمٍ من الله -عز وجل-؟ فنقول: نعم، هو مكتوب عليه في الأزل، مكتوب عليه العمل السيئ السابق، ومكتوب له التوبة الأخيرة التي منَّ الله بها عليه، وكل ذلك بعلم من الله -سبحانه وتعالى-، يقول الله -عز وجل-: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]. ويقول جل ذكره: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فعلم الله -سبحانه وتعالى- محيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، وهذا أمر متفق عليه بين علماء المسلمين والحمد لله، وهو إحدى مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، فإن الإيمان بالقضاء والقدر مراتب أربع:

الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، بمعنى: أن تؤمن بأن الله تعالى عالم بكل شيء جملة وتفصيلًا، ما كان وما لم يكن.

الثانية: أن تؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، فإن الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

الثالثة: الإيمان بعموم مشيئة الله، وهي أن تؤمن بأن كل ما في الكون فهو واقع بمشيئة الله، لا يخرج عن مشيئته شيء، لا من فعله، ولا من فعل عباده، والنصوص في هذا كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. فبين الله -عز وجل- أن اقتتال هؤلاء المختلفين كان بمشيئته.

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. وأجمع المسلمون على هذه الكلمة العظيمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فما في الكون شيء يحدث عدمًا أو وجودًا إلا وهو بمشيئة الله -سبحانه وتعالى-.

الرابعة: الإيمان بعموم خلق الله، أي: أن تؤمن بأن كل ما في الكون مخلوقٌ لله -عز وجل- في أعيانه وفي أوصافه، كما قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

حتى العبد فإنه مخلوق لله تعالى بعينه وشخصه، وبأوصافه وقواه الظاهرة والباطنة، وبما ينشأ عن تلك القوى، فأفعال العبد مثلًا مخلوقة لله، باعتبار أن هذه الأفعال ناشئة عن قدرة في العبد وإرادة، والقدرة والإرادة من

---

(١) تقدم تخريجه.

صفات العبد، والعبد مخلوق لله، فأوصافه كذلك مخلوقة له أي لله. فكما أن الأوصاف الخَلْقية الظاهرة مخلوقة لله، فكذلك الأوصاف الخُلُقية والفكرية الباطنة مخلوقة لله كذلك.

وهذه المراتب الأربع يؤمن بها أهل السنة والجماعة جميعها، فعلينا أن نؤمن بها ونصدق، لكن مع ذلك نعلم علم اليقين أن للإنسان إرادة وقدرة، فهو يريد الشيء فعلًا وتركًا، أي: يريد أن يفعل فيفعل إذا كان له قدرة، ويريد أن يترك فيترك، ولكن خالق القدرة وخالق الإرادة هو الله -عز وجل-، فهو يُنْسَبْ -أي: فعل العبد- إلى الله تعالى خلقًا وإرادة، وإلى العبد فعلًا وكسبًا، مع أنه داخل تحت إرادة العبد وقدرته، فلولا أن الله تعالى أقدر العبد على الفعل ما فعل؛ لعجزه عنه، ولولا أن الله خلق فيه الإرادة ما فعل؛ لعدم وجود الإرادة.

***

(٢٦٤) يقول السائل: هل الكفار مكتوب عليهم من الأزل أن يكونوا كفارًا؟ ولماذا يعذبون على المكتوب قديمًا إذا كان كل شيء يجري على ما سبق في الأزل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: نعم، الكفار كذلك مكتوب عملهم في الأزل، ويكتب كذلك عمل الإنسان عند تكوينه في بطن أمه، كما دل على ذلك الحديث الصحيح لابن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣٢). ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٣).

فأعمال الكفار مكتوبة عند الله -عز وجل-، والشقي شقي عند الله -عز وجل- في الأزل، والسعيد سعيد عند الله في الأزل. ولكن قد يقول قائل -كما أورد هذا السائل-: كيف يعذبون وقد كتب الله عليهم ذلك في الأزل؟ فنقول: إنهم يعذبون؛ لأنهم قد قامت عليهم الحجة، وبُيِّن لهم الطريق: فأُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وبُين الهدى من الضلال، ورُغبوا في سلوك طريق الهدى، وحُذروا من سلوك طريق الضلال، ولهم عقول، ولهم إرادات، ولهم اختيارات.

ولهذا نجد هؤلاء الكفار وغيرهم أيضًا يسعون إلى مصالح الدنيا بإرادة واختيار، ولا تجد أحدًا منهم يسعى إلى شيء يضره في دنياه ويقول: إن هذا مكتوب عليَّ. أبدًا، كلٌّ يسعى إلى ما فيه المنفعة، فكان عليهم أن يسعوا أيضًا لما فيه منفعتهم في أمور دينهم، كما يسعون لما فيه المنفعة في أمور دنياهم، ولا فرق بينهما، بل إن بيان الخير والشر في أمور الدين في الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام أكثر وأعظم من بيان الأمور الضارة في أمور الدنيا، فكان عليهم أن يسلكوا الطرق التي فيها نجاتهم والتي فيها سعادتهم، دون أن يسلكوا الطرق التي فيها هلاكهم وشقاؤهم.

نقول: إن هذا الكافر حين أقدم على الكفر لا يشعر أن أحدًا أكرهه، وإنه فعل ذلك بإرادته واختياره، فهل كان حين إقدامه على هذا الكفر هل كان عالمًا بما كتب الله له؟ الجواب: لا؛ لأنَّنا لا نعلم بأن الشيء قد كتب إلا بعد أن يقع، أما قبل أن يقع فإننا لا نعلم ماذا كتب؛ لأنه من علم الغيب.

فنقول لهذا الكافر: لماذا لم تقدر أن الله -سبحانه وتعالى- كتب لك السعادة فتؤمن؟ فأنت الآن قبل أن تقع في الكفر أمامك شيئان: هداية وضلال، فلماذا لا تسلك طريق الهداية مقدرًا أن الله تعالى كتبه لك؟ لماذا تسلك طريق الضلال، ثم بعد أن تسلكه تحتج بأن الله تعالى كتبه؟ نقول لك قبل أن تدخل في هذا الطريق: هل عندك علم أنه مكتوب عليك؟ ستقول: لا.

ولا يمكن أن تقول: نعم. فإذا قلت: لا. قلنا: إذًا لماذا لم تسلك طريق الهداية وتقدر أن الله تعالى كتب لك ذلك؟

ولهذا يقول الله -عز وجل-: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ويقول -عز وجل-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

ولما أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أصحابه بأنه «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ». ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

هذا جوابنا عن هذا السؤال الذي أورده هذا السائل، وما أكثر من يحتج به من أهل الضلال، وهو عجب منهم؛ لأنهم لا يحتجون بمثل هذه الحجة على مسائل الدنيا أبدًا، بل تجدهم يسوقون في مسائل الدنيا ما هو أنفع لهم، ولا يمكن لأحد أن يقال له: هذا الطريق الذي أمامك طريق وعر صعب، فيه لصوص، وفيه سباع، وهذا الطريق الثاني طريق سهل آمن. لا يمكن لأحد أن يسلك الطريق الأول ويدع الطريق الثاني، مع أن هذا نظير الطريقين: طريق النار وطريق الجنة، فالرسول بين طريق الجنة، وقال: هو هذا. وبين طريق النار، وقال: هو هذا. وحذر من الثاني، ورغَّب في الأول، ومع ذلك فإن هؤلاء العصاة يحتجون بقضاء الله وقدره -وهم لا يعلمونه- على معاصيهم.

***

(٢٦٥) يقول السائل ع. ع.: هل الرزق والزواج مكتوب في اللوح المحفوظ؟ وهل مكتوب مثلًا أني أتزوج فلانة بعينها مسبقًا؟ وهل الرزق محدد مهما كدَّ الشخص وتعب؟ وما الدليل على ذلك؟

---

(١) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كل شيء يجري منذ أن خلق الله القلم إلى يوم القيامة فإنه مكتوب، مكتوب في اللوح المحفوظ؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- -كما في الحديث-: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١). وثبت عن النبي ﷺ **أن الجنين في بطن أمه إذا مضت أربعة أشهر بعث الله إليه ملكًا ينفخ فيه الروح، ويكتب رزقه وأجله وعمله، وهل هو شقي أم سعيد**(٢). والرزق أيضًا مكتوب لا يزيد ولا ينقص، ولكن الله -سبحانه وتعالى- قد جعل له أسبابًا يزيد بها وينقص، فمن الأسباب:

١- أن يعمل الإنسان بطلب الرزق، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

٢- صلة الرحم من بر الوالدين وصلة القرابات، فإن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

٣- تقوى الله -عز وجل-، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. ولا تقل: إن الرزق مكتوب ومحدود، ولن أفعل الأسباب التي توصل إليه. فإن هذا من العجز، ومن الكياسة والحزم أن تسعى لرزقك، ولما ينفعك في دينك ودنياك. قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ**»(٤).

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم (٢٠٦٧). ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آنية الحوض، رقم (٢٤٥٩).

(٢٦٦) يقول السائل: إذا كان قضاء الله وقدره سابقًا على الإنسان بالسعادة أو الشقاوة فما حكم ترك الأخذ بالأسباب والعمل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ترك الأسباب والعمل سفه؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- يقدر الأشياء بأسبابها، فلحكمته جل وعلا صار لكل شيء سببٌ، كل شيء يكون فلا بد له من سبب؛ إما معلوم لنا وإما مجهول لنا.

وقد بين الله لنا أسباب السعادة وأسباب الشقاوة، وأمرنا بأن نعمل في أسباب السعادة، فقال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

ولما أخبر النبي -عليه الصلاة- والسلام أصحابه أنه «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ». ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

فهذا ما دل عليه الشرع: أنه لا بد من الأخذ بالأسباب، وكذلك دل عليه العقل؛ فإن الإنسان لو قال: أنا لا أتزوج، ولكن إن كان الله قد كتب لي أولادًا فسيأتون. لعدَّه الناس من أسفه السفهاء. وكذلك لو قال: أنا لن أسعى إلى طلب الرزق، ولو قدر الله -سبحانه وتعالى- لي أن أشبع، وأن أروى فسأشبع وأروى. لعد ذلك من أسفه السفه. فلا بد من فعل الأسباب، ولا يتم التوكل ولا الاعتماد إلا بامتثال أمر الله -عز وجل-، بفعل الأسباب النافعة التي تؤدي إلى المقصود.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢٦٧) يقول السائل -يسمي نفسه الباحث عن الحقيقة- من الجمهورية العراقية من مدينة كركوك: هناك نوعان من الحياة: الحياة السعيدة، ولا أقصد السعادة بالمال والجاه، وإنما أقصد تلك السعادة التي تأتي من النفس، أي أن يكون الإنسان مرتاحًا من الناحية النفسية. ثانيًا: الحياة الذليلة، وأقصد بها الذل النفسي، أي أن يكون الإنسان ذليلًا من الناحية النفسية. والسؤال: لماذا يخلق الإنسان ذليلًا في أمة الإسلام؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وذكر عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢] وعدة آيات، وهل نستطيع أن نعتبر أن الذين خلقهم الله أذلاء من الناحية النفسية لم تشملهم هذه الرحمة الواسعة، ولا تزال قلوبهم ونفوسهم تعيش في الظلمات ولم تر النور، ونعتبر هذا ظلمًا لهم من الله -سبحانه وتعالى-؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال الذي سأل عنه الأخ يتعلق بمسألة عظيمة؛ وهي مسألة القضاء والقدر، التي ينقسم الناس فيها إلى قسمين: منهم من وُفِّق للاستقامة، ومنهم من وُفق للضلالة.

وهذا هو محطُّ الإشكال عند كثير من الناس: كيف يكون هذا ضالًّا وكيف يكون هذا مهتديًا؟ ولكننا ننبه على نقطة مهمة في هذا الباب، وهي: أن مَن كان ضالًّا فإن سبب ضلاله هو نفسه؛ لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، ولقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

ولقول النبي ﷺ حين حدث أصحابه: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ». ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠](١).

وعلى هذا نقول: هؤلاء الذين وصفهم السائل بأنهم أذلاء إنما أذلتهم المعصية، ولم يكتب لهم الهدى، بسبب أنهم هم الذين تسببوا للضلالة؛ حيث لم تكن إرادتهم صادقة في طلب الحق، والوصول إليه، وفي العمل به بعد وضوحه وبيانه، ولو أنهم كانوا أحسنوا النية، وصدقوا العزيمة لوفقوا للحق؛ لأن الحق بَين مُيَسر: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-٧].

والذي أنصح به هذا الأخ، ومن على شاكلته، وممن أشكل عليهم هذا الأمر أن يرجعوا إلى أنفسهم أولًا، ويحسنوا نيتهم، ويصححوا عزيمتهم، حتى تكون النية سليمة، والعزيمة صادقة، في طلب الحق، وحينئذ فأنا ضامن أن يوفقوا له؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي وعد بذلك: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٧].

وتأمل أن الآية جاءت بالسين الدالة على قرب مدخولها، وعلى تحقق مدخولها أيضًا؛ لأن السين -كما هو معلوم- تدل على هذين المعنيين: قرب مدخولها، وتحققه. ولكن البلاء من أنفسنا.

وأتلو الآن أيضًا قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]، فإن هذا النسيان يشمل الذهول الذي هو ذهول القلب عن المعلوم، فالنسيان هو: ذهول القلب عن المعلوم، وكذلك النسيان الذي بمعنى الترك، فهم تسلب علومهم، ولا يوفقون إلى العمل الصالح بسبب نقض الميثاق.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (فأما من أعطى واتقى)، رقم (٤٩٤٥)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٧).

يقول السائل: لكن هؤلاء أذلتهم المعصية، وأيضًا ذكرتم الآية الأخيرة، التي نزلت -فيما أعتقد- في بني يهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]. نجد الآن بعض الذين ينتسبون إلى الأمة الإسلامية أذل من الذين جاهروا بالكفر، وانتهجوا هذا المنهج، فما رأيكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، هذا صحيح، وذلك أن الحق عليهم في الاستقامة أوكد من الحق على أولئك، ومعلوم أن من تدنَّس بالأرجاس، وهو من أهل الولاية، أشد ممن تدنس بها، وليس من أهل الولاية، فإن حقَّ الله على المسلمين أعظم من حقه على أولئك الكافرين، ولهذا يُلزمون بشرائع الإسلام، فإنه إذا تمرد كان أشد وأعظم، ولهذا إذا تمت النعمة على العبد صارت مخالفته أشد وأعظم.

ومن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ في **الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ومنهم: العجوز الزاني**[1]؛ لأنه لا داعي له للزنى، وهو إلى الاتعاظ والبعد عن هذا أولى، فلذلك عظم إثمه. فهؤلاء الأذلة من المسلمين؛ لأنهم يجب عليهم من حق الله -سبحانه وتعالى- والاستقامة أكثر مما يجب على أولئك، ولهذا كانت مخالفتهم أعظم من مخالفة أولئك، وكان الذل إليهم أقرب.

وقد مثل بعض العلماء شبيه هذه المسألة بحاشية الملك والبعيدين عنه، فقال: إن مخالفة حاشية الملك للملك أشد وأعظم وقعًا من مخالفة الأباعد، هكذا المسلمون؛ مخالفاتهم تكون أعظم من غيرهم، فلذلك كان جزاؤهم أشد من غيرهم.

***

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رقم (١٠٧).

(٢٦٨) يقول السائل: هل الإصابة بالعين حقيقة؟ وكيف نعالج هذه الإصابة بالآيات القرآنية؟ وما هذه الآيات؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإصابة بالعين حقيقة دل عليها القرآن والسُّنة:

أما **القرآن** فإن بعض المفسرين قد ذهبوا إلى أن معنى قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١] أن المراد بها العين، وكذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. ذهب كثير من أهل العلم أن المراد بها العين.

وأما **السنة** فقد ثبت ذلك عن النبي ﷺ حينما قال: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ**»(١). وهذا نص صريح.

ثم إن الواقع يشهد لذلك أيضًا، ولا حاجة إلى سرد الوقائع المعلومة لنا في هذا المقام، لكنها معلومة عند جميع الناس. وخير وقاية منها نوعان:

أحدهما: وقاية دافعة.

ومنها: أن يستعمل الإنسان الأوراد الواقية من العين وغيرها؛ مثل آية الكرسي؛ فقد جاء في فضلها: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ**: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] **حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ**»(٢). ومنها أيضًا ألا يظهر لمن اتُّهم بالعين بمظهر يُخشى منه أن يثير هذا العائن.

ثانيها: وقاية رافعة.

ومنها: أن يؤمر العائن بالاغتسال، ويؤخذ ما تناثر من الأعضاء، أو

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الآداب، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، رقم (٢٣١١).

بالوضوء، ويؤخذ ما تناثر من أعضائه، فيُصب على رأس المصاب، وعلى ظهره، ويشرب منه، وحينئذ تزول العين، بإذن الله -تبارك وتعالى-.

***

(٢٦٩) يقول السائل: هل هناك آيات قرآنية خاصة يُرقى بها من أصابته العين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا أعرف عن هذا شيئًا، ولكن كما قلت: آية الكرسي واقية، وقبل أن نختم الجواب ينبغي لمن عرف من نفسه أنه عائن أن يكثر التبريك إذا رأى ما يسره، فيقول إذا رأى ما يسره: تبارك الله ما شاء الله، وما أشبه هذا؛ لأن ذلك من أسباب الوقاية.

***

(٢٧٠) يقول السائل: العين حق، فكيف يتقي الإنسان من العين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العين حق، ولا شك فيها، ولكن للعين أشياء تقي، منها: دافعة ورافعة.

أما الأشياء الدافعة: فأن يكثر الإنسان من الأوراد التي جاءت بها السنة؛ مثل قراءة آية الكرسي، والآيتين من آخر سورة البقرة، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]. ومنها: إذا رأى أحدًا يخاف عينه فليقل: اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم. ومنها: إذا كان الإنسان من الذين يؤذون الناس بعينهم، أي: إذا كان عائنًا، فإنه إذا رأى ما يعجبه يبرك عليه فيقول: بارك الله فيك، وما أشبه ذلك.

أما معالجة العين بعد وقوعها -وهو دفعها- فله أسباب، منها: القراءة على الشخص المصاب بالعين، ومنها: أن يؤمر العائن بأن يتوضأ، ويؤخذ مما يتناثر من وضوئه، فيصب على المصاب، ويشرب منه، فإن هذا من أسباب ارتفاع أثر العين عن المصاب.

***

(٢٧١) يقول السائل: ما العلاج الشرعي للمصاب بالعين؟ وبعض الناس يكون عنده وسواس، ويخشى الإصابة بالعين، ويطلب من الناس دائمًا أن يذكروا الله، فهل عمله هذا صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: من الواضح جدًّا في عهدنا القريب أن الناس كثرت فيهم الأوهام والوساوس، فإذا أصيبوا بشيءٍ عادي قالوا: هذا جن. أو: هذه عين. أو: هذا سحر. ونحن لا ننكر أن الجن قد يُسلَّط على الإنسي، ويتلبس به، ولا ننكر أن الإنسان قد يصاب بالعين، ولا ننكر أن الإنسان يسحر.

ولكننا نريد ألَّا يكون هذا وهمًا بين الناس، فإذا قدر أن أحدًا أصيب بذلك -نسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين العافية- فإنه يبحث عن العلاج.

وعلاج السحر أن ينقض: بأن يعثر عليه، ثم يتلف. وعلاج العين أن يطلب من العائن أن يغتسل، ويؤخذ الماء الذي يتناثر من غسله، ويعطى المريض شربًا ورشًا على بدنه، وهذا من العلاج.

وعلاج الجن قراءة الآيات التي يطرد بها الجن؛ مثل آية الكرسي، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ومثل بعض آيات سورة الجن، مع الاستعانة بالله -عز وجل-، والتوكل عليه، والاعتماد عليه، والاعتقاد أن كلامه -جل وعلا- شفاء لما في الصدور. نسأل الله لنا ولإخواننا السلامة من شر أنفسنا ومن شر ما خلق.

***

(٢٧٢) يقول السائل: هل هناك رقية شرعية لمن أصيب بالعين؟ وهل يجوز التداوي من العين بطرق أخرى يعملها بعض الناس، وهم يزعمون بأنها تشفي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإصابة بالعين دواؤها أن يؤمر العائن بأن يغتسل، وما تناقط من الماء الذي اغتسل به يستشفي به المصاب، أو يتوضأ

ويغسل مغابنه، وما تناثر منه يؤخذ إلى المصاب بالعين ويستشفي به. هذا هو المعروف، فإذا فعله الإنسان فإنه -بإذن الله- يبرأ من إصابة العين.

***

(٢٧٣) يقول السائل: ما العلاج الشرعي لمن أصيب بالعين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العلاج الشرعي: كثرة القراءة على المصاب؛ قراءة القرآن والآيات التي فيها ذكر الشفاء بالقرآن، فيقرأ مثلًا الفاتحة وآية الكرسي، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص: ١]، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١]، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس: ١]، ويقرأ مثل قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[يونس: ٥٧]، إلى غير ذلك من الأدعية المناسبة.

هذا إذا كان لا يعرف الذي أصابه بالعين، أما إذا كان يعرفه فليفعل ما أمر به النبي ﷺ العائن؛ أن يغتسل، أو يتوضأ، ويؤخذ الماء الذي يتناثر منه، ويسقى المريض، أو يصب على رأسه وعلى ظهره حتى يشفى.

وقد كان بعض الناس يتهم بأنه أصاب أخاه بالعين إما لكلمةٍ قالها أو قرينةٍ تدل على ذلك، فيأتي إليه المصاب، أو أهله يطلبون منه أن يغتسل بالوضوء أو بالغسل، فينفر منهم، ويسبهم ويشتمهم، ويأبى أن يطيع، وهذا خطأ؛ لأنه ربما يكون الأمر واقعًا، فإن كان واقعًا حصل دفع الأذية التي حصلت منه بفعله بنفسه، وإن لم يكن واقعًا فإنه لا يضره؛ لأنه إذا لم يشف المريض بذلك علم أنه لم يصبه بالعين، وإذا شفي بذلك علم أنه أصابه، وسلم من أذية أخيه. ومن العقوبة التي تترتب على ذلك إذا كان هو الذي أصابه، وهذا لا يضره.

لكن بعض الناس -والعياذ بالله- تأخذه العزة بالإثم، ويأبى يقول: أنا عائن؟! أنا نحوت؟! كما باللغة العامية وما أشبه ذلك، وهذا خطأ، انفع أخاك؛

إن كانت العين منك تكون قد تخلصت منها، وشفى الله صاحبك، وإن لم تكن منك فإنه لا يضرك، أعني: إذا لم تكن منك لم ينفعه ما أخذ منك، وحينئذٍ يعرف أنك بريء من العين.

***

(٢٧٤) يقول السائل: ما صحة الحديث: «العَيْنُ حَقٌّ»[(١)]؟ وإن كان كذلك فما العلاج الذي يسلكه المؤمن لاتقاء العين؟ وكيف تصيب العين الإنسان؟ وإن كان هناك علاج فما الطريقة في نظركم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم الحديث صحيح، والعين حق، والواقع يشهد بذلك، والعين عبارة عن صدور شيء من نفس حاسد يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، فهو -أي: العائن- شرير، لا يريد من الناس أن يتمتعوا بنعم الله، فإذا رأى في شخص نعمة من نعم الله عليه فإن هذا الحسد الكامن في نفسه ينطلق، حتى يصيب ذلك المتنعم بنعم الله -عز وجل-.

والطريق إلى الخلاص من العين بالنسبة للعائن: أن يبرك على من رآه متنعمًا الله، فيقول: اللهم بارك على فلان. وما أشبهها من الكلمات التي تطمئن نفسه، وتكبت ما فيها من حسد.

وأما بالنسبة للرجل الخائف من العين فإن العلاج لذلك: أن يكثر من قراءة الأوراد صباحًا ومساء، كآية الكرسي، وسورة الإخلاص، وسورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وغيرها مما جاءت به السنة.

هذا علاج للوقاية منها قبل الإصابة، أما بعد أن يصاب بها فإنه يؤخذ من وضوء العائن، أو مما يغتسل به من الماء، فيصب على المصاب بالعين، أو

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب العين حق، رقم (٥٧٤٠). ومسلم: كتاب الآداب، باب الطب والمرض والرقى (٢١٨٧).

يحثو منه، فإذا فعل ذلك فإنه يبرأ منها بإذن الله. فيؤمر العائن بأن يتوضأ أو يغتسل، ويؤخذ ما تناثر من مائه، ويصب على المصاب، أو يحثو منه، أو يجمع بين الأمرين، وبذلك يزول أثر العين.

***

(٢٧٥) يقول السائل: هل تدخل الغبطة في الحسد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الغبطة لا تدخل في الحسد؛ لأن الحاسد يتمنى زوال نعمة الله على غيره، والغابط يغبط هذا الرجل بنعمة الله عليه، ولكنه لا يتمنى زوالها.

***

(٢٧٦) يقول السائل: ما السر في قول: ما شاء الله، تبارك الله. عند رؤية ما يعجبك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السر في ذلك ألَّا يقع من هذا المشاهد عين تصيب المشهود؛ لأن النفوس قد يقع منها ما لا يجوز، فإذا رأى الإنسان ما يعجبه وخاف من حسد العين فإنه يقول: ما شاء الله، تبارك الله. حتى لا يصاب المشهود بالعين، وكذلك إذا رأى الإنسان ما يعجبه في ماله فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. لِئَلَّا يعجب بنفسه، وتزهو به نفسه، في هذا المال الذي أعجبه، فإذا قال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. فقد وكل الأمر إلى الله -تبارك وتعالى-.